

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur  
et de la Recherche Scientifique  
Université Aklî Mohand Oulhadj - Bouira -  
X·0V·EX·KIE C·K·IA·IK·X - X·0E0·t -



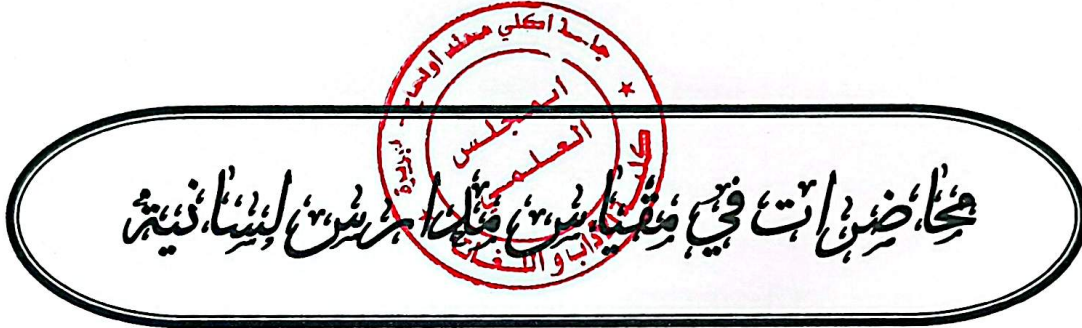
Faculté des Lettres et des Langues

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أكلي محمد أوجاج  
- البويرة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

شعبة: دراسات لغوية



مطبوعة بيداغوجية موجهة الى طلبة السنة الثانية ليسانس  
تخصص: لسانيات عامة

اعداد الدكتور:

نوال زلاحي

السنة الجامعية: 2024 - 2025



## مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

خاص بـ:

### ملفات المطبوعات الجامعية

صادق المجلس العلمي للكلية في اجتماعه المنعقد يوم 2025/10/08 على المطبوعة البيداغوجية  
للدكتورة: نوال زلاي من قسم اللغة و الأدب العربي والتي تحمل عنوان: "محاضرات في مقياس مدارس لسانية"  
السنة الثانية ليسانس، شعبة: دراسات لغوية، تخصص: لسانيات عامة.  
و قد حظيت المطبوعة بتزكية المجلس العلمي بناء على التقريرين الإيجابيين للخبيرين :

الخبير	الصفة	جامعة الانتماء
فتيحة حمودي	أستاذ محاضر - أ-	جامعة اكلي محمد اولحاج - البويرة-
كاهنة محيوت	أستاذ محاضر - أ-	جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

رئيس المجلس العلمي للكلية/

رئيس المجلس العلمي  
الاستاذ: عيسى شاعر  
المجلس العلمي  
كلية الآداب واللغات



## مقاييس مدارس لسانية العارف السبقة الطلرية:

تُشكل اللسانيات الحديثة بفضل العالم السويسري فريدريك دي سوسير - تحوُّلاً جذرياً في دراسة اللُّغة حيث أسس منهجية علمية تقوم على تحليل اللُّغة بوصفها نظاماً اجتماعياً مستقلاً، بعيداً عن التأملات الفلسفية أو التاريخية السائدة قبل القرن العشرين. لذلك، من الضروري أن يكون الطالب ملماً بأفكار دي سوسير الأساسية، خاصة تلك التي وردت في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، مثل ثنائية المال والمدلول، والتمييز بين اللُّغة والكلام، حيث تُعد هذه المفاهيم حجر الزاوية في فهم طبيعة اللُّغة كنظام اجتماعي قائم بذاته.

كما يتوقع من الطالب أن يكون على دراية بالمبادئ الأساسية التي تقوم عليها اللسانيات الحديثة والتي تركز على دراسة اللُّغة بوصفها ظاهرة اجتماعية تنسم بالموضوعية والملاحظة العلمية، مع اعتماد المنهج الوصفي الذي يركز على تحليل اللُّغة كما تُستخدم فعلياً، وليس فقط على وضع قواعد معيارية.

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون الطالب ملماً بالأساسيات في فروع اللسانيات المختلفة، مثل علم الأصوات، المورفولوجيا، النحو، وعلم الدلالة، لأنها تشكل الأدوات التحليلية التي تساعد في فهم بنية اللُّغة ووظائفها. كما يُفضل أن يكون لديه معرفة مبدئية بأبرز المدارس اللسانية الكبرى، مثل: المدرسة البنوية المدرسة التوليدية، والمدرسة الوظيفية، لفهم التنوع المنهجي في تحليل اللُّغة.

هذا الإعداد المعرفي المسبق يُمكن الطالب من استيعاب المقررات المتقدمة في اللسانيات، ويعزز قدرته على التحليل النقدي والمناقشة العلمية، مما يؤهله للمساهمة الفعالة في الحقل الأكاديمي والبحثي.

يهدف مقرر "المدارس اللسانية" إلى تزويد الطالب بالكفاءات العلمية والمنهجية الضرورية لفهم مختلف التيارات اللسانية المختلفة وتحليل النصوص الأدبية وفق أسس علمية، من بين الكفاءات المستهدفة، يكتسب الطالب القدرة على:

- استيعاب المفاهيم الأساسية والنظريات المحورية لكل مدرسة لسانية.
- التعرف على رواد المدارس اللسانية واسمها ما تم في تطوير الفكر اللغوي.
- تحليل تأثير تطور المدار من اللسانية على الدراسات الأدبية والنقدية.
- استخدام أدوات البحث اللساني في دراسة بنية اللُّغة وتفسير معاني النصوص.
- تحليل النصوص الأدبية بطرق علمية تعتمد على النظريات اللسانية المختلفة.



محتوى المادة:

المعامل: 02 الرصيد: 03

السادسي: الرابع

المادة: المدارس الأجنبية / محاضرة و تطبيق

مفردات المحاضرة

- 01 مدخل المدرسة / الحلقة / النظرية
- 02 لسانيات دو موسير
- 03 حلقة موسكو
- 04 مدرسة براغ 1
- 05 مدرسة براغ 2
- 06 مدرسة كويتياغن
- 07 المدرسة الوظيفية الفرنسية
- 08 المدرسة السياقية
- 09 المدرسة التوزيعية
- 10 المدرسة التقليدية التحولية 1
- 11 المدرسة التقليدية التحولية 2
- 12 المدرسة الوظيفية الأمريكية
- 13 مدرسة أوكسفورد
- 14 المدرسة الخليجية

طريقة التقييم:

يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي.



## مقدمة:

اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية من جوانبها المختلفة، سواء في بنيتها أو وظائفها أو تطورها، وتهدف إلى فهم طبيعة اللغة وكيفية عملها كوسيلة تواصل بين البشر. نشأت اللسانيات الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر، ويُعتبر العالم السويسري فرديناند دي سوسير المؤسس الحقيقي لهذا العلم، حيث أسس منهجاً علمياً يعتمد على الملاحظة والتحليل بعيداً عن التأملات الفلسفية. تتضمن اللسانيات دراسة الأصوات (علم الأصوات)، وبنية الكلمات (المورفولوجيا)، وتركيب الجمل (النحو) ومعاني الكلمات والعبارات (علم الدلالة)، بالإضافة إلى دراسة استخدام اللغة في السياقات المختلفة (علم الأسلوب والتداولية).

تعود نشأت اللسانيات كعلم حديث في أواخر القرن التاسع عشر، إذ يُعتبر العالم السويسري فرديناند دي سوسير المؤسس الحقيقي لهذا العلم الحديث، حيث وضع الأسس المنهجية التي جعلت من اللسانيات علماً مستقلاً قائماً على الملاحظة والتحليل العلمي بعيداً عن التأملات الفلسفية السابقة.

قبل ذلك، كانت الدراسات اللغوية تعتمد على تأملات فلسفية ونحوية في الحضارات القديمة مثل: الإغريق والرومان والعرب، الذين وضعوا قواعد ونظريات حول اللغة لكنها لم تكن منهجية علمية بالمعنى الحديث. فقد أسس العرب علم أصول النحو مستفيدين من المنطق اليوناني وعلم أصول الفقه، بينما في أوروبا ظهرت اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر التي بحثت في التغيرات اللغوية وعلاقات القرابة بين اللغات، مثل أعمال فيلهلم فون بوب التي أسست النحو المقارن.

تطورت اللسانيات عبر مراحل تاريخية متعاقبة، بدءاً من النحو التقليدي الذي ركز على وضع قواعد معيارية للغة، مروراً بالدراسات التاريخية المقارنة التي بحثت في أصول اللغات وعلاقاتها، وصولاً إلى المدارس اللسانية الحديثة التي تبنت مناهج وصفية وتحليلية جديدة، حيث أصبحت اللسانيات علماً شاملاً يدرس اللغة من جوانبها المختلفة، سواء في بنيتها أو وظائفها أو تطورها، معتمدة على مناهج علمية دقيقة ومنهجية تحليلية متجددة.

تطورت اللسانيات عبر مراحل تاريخية متعاقبة، بدءاً من النحو التقليدي الذي كان يركز على وضع قواعد معيارية للغة بهدف تمييز الأشكال النحوية الصحيحة من الخاطئة، وكان هذا النوع من الدراسة بعيداً عن الملاحظة العلمية الدقيقة، حيث كان الهدف الرئيسي هو الحفاظ على سلامة اللغة، خاصة في النصوص الدينية.



ثم ظهرت الدراسات التاريخية المقارنة التي بحثت في أصول اللغات وعلاقتها، وركزت على دراسة تطور اللغة عبر الزمن، وظهرت معها مناهج مثل اللسانيات التاريخية والتطورية التي تهتم بتغيرات اللغة في مراحلها المختلفة، وتستخدم منهج المقارنة وإعادة البناء الداخلي للكشف عن القرابة بين اللغات وتطورها

لاحقاً، مع مطلع القرن العشرين، جاءت المدارس اللسانية الحديثة التي تبنت مناهج وصفية وتحليلية جديدة، حيث انتقل التركيز من القواعد المعيارية إلى دراسة اللغة كما تُستخدم فعلياً في الواقع، مع تحليل البنية الصوتية والدالية والنحوية بشكل علمي ومنهجي. وكان لفرديناند دي سوسير دور محوري في تأسيس اللسانيات الحديثة، إذ وضع أسساً epistemologique ومفاهيمية جعلت اللسانيات علماً قائماً بذاته، متخلياً عن النظرة الميتافيزيقية إلى اللغة، ومركزاً على الملاحظة والاختبار.

شهدت اللسانيات في العصر الحديث، توسعاً كبيراً لتشمل تخصصات فرعية متعددة مثل: اللسانيات التطبيقية، اللسانيات النفسية، اللسانيات العصبية، واللسانيات الحاسوبية. هذا التوسع جعل من اللسانيات علماً شاملاً يدرس اللغة من زوايا متعددة، معتمداً على تقنيات حديثة وأبحاث متعددة التخصصات، مما يعزز فهمنا العميق للغة بوصفها ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد.

وقد تطورت المدارس اللسانية، مثل: المدرسة البنوية، المدرسة التوليدية، والمدرسة الوظيفية، لتتجاوز دراسة اللغة من حيث شكلها البنوي فقط، لتشمل أيضاً دراسة وظائفها ودورها الحيوي في التواصل الاجتماعي. هذه المدارس لم تقتصر على التحليل الصرفي والنحوي، بل أولت اهتماماً بالغاً بالسياقات الاجتماعية والثقافية التي تُستخدم فيها اللغة. وبذلك، فإن هذه المدارس أسهمت في توسيع آفاق البحث اللساني، وجعلت منه علماً متعدد الأبعاد يدمج بين البنية والوظيفة والسياق، مما يعكس تعقيد اللغة ودورها المركزي في الحياة الإنسانية.

تهدف هذه المطبوعة البيداغوجية في مقياس المدارس اللسانية إلى تمكين طلبة السنة الثانية ليسانس من التمييز بين المدارس اللسانية الغربية المختلفة، والتعرف على زعمائها وروادها المؤسسين، بالإضافة إلى استيعاب أهم الأفكار التي طرحتها كل مدرسة على حدة. كما تسلط المطبوعة الضوء على طرائق تحليل اللغة ومقاربتها لدى كل مدرسة، مع تقديم ملخص شامل للأفكار والتصورات التي قدمتها، مما يساعد الطالب على فهم التطورات الفكرية التي شهدتها الفكر اللساني الغربي، مما يساهم في توسيع مداركه العلمية وتعزيز قدراته التحليلية في مجال اللسانيات.



تُعد دراسة المدارس اللغوية من المجالات الأساسية في فهم تطوّر الفكر اللغوي وتحليل النصوص بشكل منهجي. فهي تمثل أطرًا نظرية ومنهجية تجمع بين الباحثين والمفكرين الذين يتبنون رؤى محدّدة حول اللّغة ووظائفها، وكيفية استخدامها في التعبير والتواصل. قبل الخوض في تفاصيل هذه المدارس، من الضروريّ التعرف على مصطلحات أساسية مثل: المدرسة، الحلقة، النظرية، التي تشكل مفاتيح لفهم طبيعة هذه الاتجاهات وكيفية تأثيرها على تحليل اللّغة والنصوص.

### 1. مفهوم "المدرسة":

كلمة "درس" في اللغة العربية تحمل معانٍ متعددة، فهي من الفعل "دَرَسَ يَدْرُسُ"، الذي يعني في الأصل طحن الشيء وجزئه، كما في قول العرب: "درس الحب" بمعنى طحنه، و"درس الدرس" أي قسمه إلى أجزاء، وهو ما يدل على السهولة والتيسير في التعلم عبر تقسيم المادة إلى أجزاء يسهل استيعابها. ومن هذا المعنى اشتقّ مفهوم "المدرسة"، حيث يُقال: "درس الكتاب يدرسه دراسة"، أي قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه.<sup>1</sup> وهذا المعنى يتجلى في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى في سورة آل عمران:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: 79

وقد فسّر أبو الحسن ابن سيده في كتابه "المحکم والمحيط الأعظم" هذا المعنى بقوله: "درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه"،<sup>2</sup> أي أنه قرأه وكرره حتى حفظه. كما ورد في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: 105

ويضيف الزبيدي في (تاج العروس): "درس الكتاب يدرسه درسا ذلك بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليه من ذلك".<sup>3</sup> أمّا الجوهري في (الصحاح) فيقول: "ودارستُ الكتب، وتدارستها، وأدارستها أي: درستها".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 15، ص 1359، مادة "درس".

<sup>2</sup> - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000، ج 08، ص 446، مادة (درس).

<sup>3</sup> - الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت 1993م، ج 16، ص 64، مادة (درس).



وفي سورة سبأ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَفُكُّونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ سبأ: 44

بهذا يتضح أنّ "المدرسة" في أصلها اللغوي تعني المكان أو العملية التي يتم فيها الدرس، أي التعلّم المنهجي الميسر عبر القراءة المتكررة والتدبير، وهو ما يجعلها أساسًا للتربية والتعليم في الثقافة العربية والإسلامية؛ حيث يُقال عن شخص إنه "من مدرسة فلان" أي أنه يتبع رأي ذلك العالم أو المفكر، أو ينتمي إلى تلاميذه وأتباعه. وهذا الاستخدام يعكس البعد الفكري للمدرسة، حيث تتجاوز كونها مجرد مكان مادي لتصبح رمزًا لمنهج فكري أو تيار علمي.

أما في العصر الحديث، فنُعرف المدرسة على أنها المؤسسة الاجتماعية التي يبتدعها المجتمع لتتولى مهمة تربية النشء وتعليمه المعارف والمهارات، بالإضافة إلى غرس القيم الاجتماعية والدينية وتنمية طرق التفكير والعمل.<sup>2</sup> وتتمتع المدرسة اليوم بدور محوري في تشكيل شخصية الأفراد، وقدرتها على إحداث تغييرات اجتماعية وثقافية واسعة، وهو دور لا تستطيع غالبية المؤسسات الاجتماعية الأخرى القيام به بنفس الفاعلية.

كما أنّ مفهوم المدرسة يشمل أيضًا الجماعات الفكرية، حيث يُطلق على مجموعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين الذين يعتنقون مذهبًا فكريًا معينًا أو يشتركون في رؤية أو منهج معين اسم "المدرسة".<sup>3</sup> هذه الجماعات قد تضم أيضًا فنانيين وكتابًا، تعكس أعمالهم وأفكارهم وأسلوبهم تأثيرًا أو اعتقادًا مشتركًا، مما يجعل المدرسة ظاهرة ثقافية وفكرية تتجاوز حدود المكان. وقد شهد التاريخ الإسلامي والعربي نشوء العديد من المدارس الفكرية التي أثرت في مسار الفكر العربي والإسلامي، مثل المدرسة البصرية والكوفية في النحو، والمدرسة الصوفية في التصوف، والمدرسة الفلسفية في الفلسفة الإسلامية. أما بالنسبة للمُدْرَس في المدرسة، فهو المعلم أو الأستاذ الذي يقوم بدور التوجيه والتدريس، وهو العنصر الأساسي في عملية نقل المعرفة وتنمية مهارات الطلاب.

<sup>1</sup> - الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 04 ، 1990 م، ج 03 ص 927 ، مادة (درس).

<sup>2</sup> - إبراهيم نصر، مقدمة في التربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004 م، ص 152

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1، 1993 ص 148 .



## 2. مفهوم النظرية:

تُعرف كلمة النظرية في اللغة بأنها مصطلح مشتق من الخذر الثلاثي (نظر)، الذي يعني التأمل والتفكير العميق في أمر معين.<sup>1</sup> فالنظر هو عملية تدبر وتأمّل البناء التفكير في موضوع ما.

أما اصطلاحًا، فالنظرية هي مجموعة من القواعد والمبادئ المنهجية التي تُستخدم لوصف ظاهرة أو موضوع معين، سواء كان ذلك في مجال علمي، فلسفي، معرفي، أو أدبي. وتُعد النظرية دراسة عقلانية ومنطقية لموضوع محدد، تهدف إلى استنتاج مجموعة من النتائج والخلاصات التي تعزز الفكرة الرئيسية التي تقوم عليها.

وبناءً عليه، يمكن تعريف النظرية على أنها طائفة من الآراء والمفاهيم التي تحاول تفسير الوقائع العلمية أو الظنية، والبحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع، أو السبب والمسبب.<sup>2</sup> في الدراسات الإنسانية، تشير النظرية إلى التصورات أو الفروض التي تفسر الظواهر الاجتماعية والإعلامية، والتي تتأثر بالتجارب والأحداث، والمذاهب الفكرية، والبحوث العلمية التطبيقية.

ويمكن القول إن النظرية تشكل مجموعة منظمة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات التي تقدم رؤية متماسكة لظاهرة ما، من خلال تحديد العلاقات بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة، بهدف تفسيرها والتنبؤ بسلوكها المستقبلي.

تختلف معاني النظرية باختلاف المجال الذي تُستخدم فيه، لكنها بشكل عام تمثل تفسيرًا لكيفية حدوث ظاهرة طبيعية، بشرط تحقق حدوثها وعدم وجود نزاع على وقوعها. وتعمل النظرية على شرح آلية حدوث هذه الظواهر، وتكون عرضة دائمًا للصواب والخطأ، حيث يُعزز من صحة النظرية تماسكها المنطقي والرياضي، وقدرتها على شرح أكبر عدد ممكن من النتائج التجريبية.

تتطلق النظرية من مسلمات أو مبادئ متفق عليها، تشكل الأساس الذي يُبنى عليه النموذج النظري، وما يترتب عليه من نتائج وتنبؤات.

هناك فرق جوهري بين الاستعمال العلمي لكلمة "نظرية" والاستعمال العام لها:

<sup>1</sup> - عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019 م، ص 09.

<sup>2</sup> - عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2016، ص 05.



### 1. الاستعمال العام للنظرية

تُستخدم كلمة "نظرية" في الاستخدام اليومي والعلم، بمعنى رأي، فرضية، أو تخمين، وغالبًا لا تكون مبنية على أدلة أو حقائق ثابتة. قد يُقال عن فكرة ما إنها "نظرية" بمعنى أنها مجرد رأي شخصي أو تخمين غير مؤكد، ولا يشترط أن تكون مدعومة بأدلة أو تجارب.

### 2. الاستعمال العلمي للنظرية

تشير "النظرية" في المجال العلمي، إلى نموذج أو إطار مفاهيمي متكامل يُستخدم لشرح ظاهرة أو مجموعة من الظواهر، ويستند إلى أدلة تجريبية وملاحظات متكررة. النظرية العلمية:

- تفسر الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية بناءً على بيانات موثوقة.
- تتمتع بقدرة تنبؤية، أي يمكنها التنبؤ بنتائج أو أحداث مستقبلية يمكن اختبارها.
- قابلة للنقد والتعديل بناءً على الأدلة الجديدة.
- ليست مجرد رأي، بل هي نتيجة تراكمية لاختبارات وتجارب متعددة.
- لا تتعارض مع الحقائق، بل تشرحها وتربطها في إطار منطقي.

على سبيل المثال:

- في الاستخدام العام، قد يُقال: "هذه مجرد نظرية" بمعنى أنها تخمين أو رأي غير مؤكد.
- في العلم، نظرية النسبية لأينشتاين ليست مجرد تخمين، بل هي نموذج علمي مدعوم بأدلة قوية يشرح كيفية تأثير الجاذبية على الزمان والمكان، وقد تنبأت بظواهر لاحقًا تم رصدها تجريبيًا.
- إذن، هي نموذج تفسيري مبني على أدلة، قادر على التنبؤ والتفسير، وقابل للاختبار والتعديل.

### 3. مفهوم الحلقة:

يميل مفهوم الحلقة إلى أن يكون قريبًا من مفهوم المدرسة، إذ تُعرف حلقة العالم بأنها مجلس علمه حيث يجتمع فيه الطلبة والمتعلمون حول العالم لاستقاء العلم والاستفادة من خبرته. كما يُستخدم مصطلح حلقة الذكر أو حلقات الذكر للدلالة على المجالس التي يُذكر فيها الله تعالى، ويُتلى فيها القرآن، ويُتدارس فيها العلم الشرعي.

وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا." رواه مسلم

هذا الحديث يبين فضل وأهمية مجالس الذكر، حيث تحيط بهم الملائكة وتُباركهم، مما يبرز القيمة الروحية والعلمية للحلقات كأماكن تجمع العلم والذكر والتربية.



وتُطلق كلمة "حلقة دراسية" على مجموعة صغيرة من طلاب الجامعة المتخصصين، يجتمعون لدراسة موضوع معين أو مجموعة من الموضوعات بشكل معمق. وقد تكون هذه الحلقة مجموعة من الطلبة الباحثين من جامعة واحدة أو من جامعات متعددة، يشرف عليهم أكاديميون مختصون أو أكثر، بهدف البحث العلمي أو الدراسة المتخصصة. وفي هذا السياق، يُطلق على هذه المجموعة أيضًا "حلقة اتصال" أو "حلقة وصل"، في إشارة إلى الترابط والتواصل العلمي بين أفرادها، وقد تتوسع هذه الحلقة لتشمل عددًا أكبر من الأعضاء.

ومع تطور الدراسات اللغوية واللسانية، أصبح مفهوم الحلقة أكثر ارتباطًا بمفهوم المدرسة العلمية. فعند الرجوع إلى كتب المصادر اللغوية واللسانية، نجد أن مصطلح "حلقة" يُستخدم كثيرًا للدلالة على المدارس اللسانية الكبرى، مثل : حلقة براغ اللغوية (Cercle Linguistique de Prague) ، ومدرسة جنيف اللغوية (Ecole linguistique de Genève)، وحلقة موسكو اللغوية (Cercle linguistique de Moscou) وغيرها من الحلقات العلمية التي ارتبطت بأسماء مدن أو أعلام بارزين في مجال اللسانيات، مثل: حلقة فريديناند دي سوسير (Le Cercle du Ferdinand de Saussure) و"المدرسة البنيوية" و"المدرسة الصوتية".

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحلقات لم تكن مجرد تجمعات عابرة، بل شكلت نواة لمدارس فكرية أثرت بعمق في تطور البحث اللغوي واللساني، وأسهمت في صياغة مناهج ونظريات جديدة أثرت في الدراسات اللغوية العالمية. فكل حلقة من هذه الحلقات كانت بمثابة بيئة علمية خصبة لتبادل الأفكار، وإجراء النقاشات العلمية، وتطوير المفاهيم النظرية والمنهجية.

ومن هنا، يمكن القول إن مفهوم الحلقة تطوّر ليصبح مرادفًا لمفهوم المدرسة العلمية، حيث يجتمع الباحثون حول رؤية علمية مشتركة، ويعملون على تطويرها والدفاع عنها، مما يرسخ مكانة الحلقة كأحد أهم أشكال التنظيم العلمي في تاريخ الدراسات اللغوية واللسانية.

يتضح أنّ هذه الحلقات لم تكن مجرد تجمعات دراسية عابرة، بل تحوّلت إلى نواة لتشكيل مدارس فكرية ذات أثر بالغ في تطور العلوم اللغوية واللسانية. فقد أصبحت كل حلقة بمثابة بيئة علمية خصبة يتلاقى فيها الباحثون لتبادل الرؤى، وإجراء النقاشات، وصياغة المفاهيم والمناهج الجديدة. ومن خلال هذا التفاعل العلمي، تبلورت اتجاهات فكرية متميزة لكل حلقة، انعكست في إنتاجها العلمي، وأسهمت في تطور البحث اللساني العالمي.

إنّ تسمية المدارس اللسانية الكبرى باسم "حلقة" يعكس روح العمل الجماعي الذي كان يميز هذه التجمعات العلمية، حيث لم يكن الأمر مقتصرًا على فرد أو عالم واحد، بل كان نتاج جهد جماعي منظم.



وقد ساعد هذا التوجه في ترسيخ مفاهيم جديدة، وتوسيع دائرة التأثير العلمي لتلك المدارس، حتى غدت مرجعًا للباحثين في مختلف أنحاء العالم.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النموذج التنظيمي للحلقات العلمية انتقل إلى العديد من التخصصات الأخرى، فأصبحنا نجد حلقات في الفلسفة، وعلم الاجتماع، والآداب، وغيرها من العلوم، مما يدل على فعالية هذا الأسلوب في تطوير المعرفة الإنسانية بشكل عام.

وبذلك، يمكن القول إن الحلقة ليست مجرد تجمع علمي، بل هي إطار منهجي وفكري يتيح للباحثين تطوير رؤى مشتركة، وصياغة مناهج علمية متجددة، ما يجعلها من أهم اللبانات في مسيرة البحث العلمي والابتكار الفكري.



فريدناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913) هو عالم لغوي سويسري يُعتبر مؤسس

علم اللسانيات الحديثة والمدرسة البنوية في دراسة اللغة. وُلد في جنيف بسويسرا

في 26 نوفمبر 1857 ودرس في جامعة جنيف حيث تخصص في اللغات الهندوأوروبية. عُرف دي سوسير بأبحاثه الرائدة التي غيرت مفهوم اللغة من مجرد مجموعة كلمات إلى نظام من العلامات والعلاقات.



عمل كأستاذ في جامعة جنيف، حيث ألقى محاضرات حول اللسانيات العامة

والتي جمعت لاحقاً ونشرت بعد وفاته تحت عنوان "محاضرات في اللسانيات العامة" (1916). في هذه المحاضرات، قدم أفكاره الأساسية حول اللغة كنظام من العلامات يتكون من دال (الصورة الصوتية) ومدلول (المفهوم)، ويميز بين اللغة (النظام الاجتماعي المشترك) والكلام (الاستخدام الفردي للغة)، كما أكد على أهمية الدراسة التزامنية للغة.

توفي دي سوسير في 22 فبراير 1913 عن عمر يناهز 55 عاماً، لكنه ترك إرثاً فكرياً هائلاً أثر بشكل كبير على علوم اللغة، الأدب، والعلوم الإنسانية عامة، حيث شكلت أفكاره الأساس للمدرسة البنوية التي أثرت في العديد من المجالات الأكاديمية.

يُعد فريدناند دو سوسير واحداً من أبرز العلماء الذين أسهموا في تأسيس علم اللسانيات الحديثة، حيث وضع أسساً نظرية ومنهجية جديدة لدراسة اللغة، جعلت منها نظاماً اجتماعياً متكاملًا من العلامات والعلاقات. تميزت نظرية سوسير بتركيزها على اللغة كنظام مستقل عن الكلام، وبتقديمها مفاهيم ثنائية أساسية مثل: ثنائية اللغة والكلام، والدال والمدلول، والتزامن والتعاقب. كما أسس سوسير للمدرسة البنوية التي أثرت بشكل عميق في علوم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى. في هذه المحاضرة، سنتناول أبرز مفاهيم دي سوسير في نظرية اللسانيات، مستعرضين أهم الأفكار التي جعلت من لغته علمًا دقيقًا ومنهجيًا، وكيف ساهمت هذه المفاهيم في تطوير فهمنا للغة ووظائفها.

### 1. معالجة القضايا اللغوية عند دي سوسير

تعدّ الأبحاث التي قدمها فريدناند دي سوسير بين عامي 1906 و1911 من أهم الدراسات اللسانية البنوية. كان دي سوسير أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها كموضوع وصفي، يركز على نظامها وقوانينها دون الاهتمام بجوانبها التاريخية والتطورية الزمنية. فقد رأى أن اللغة ليست مجرد أداة مادية صوتية،



بل إنها نظام لغوي مشترك بين الجماعات اللغوية المنتمية لرفع جغرافية متشابهة. هذه الجماعات يمكنها تبادل المعارف والأفكار والتجارب، مما يحقق استمرارية اللغوية ويحافظ عليها.

فالهدف الأساسي من النظرية اللسانية البنوية هو دراسة اللغة كموضوع للسانيات في ذاتها ولذاتها، من خلال تحليلها وصفيًا وفي سياقها الزمني الآتي. سنعرض الآن المبادئ اللسانية العامة التي قدمها سوسير، والتي تُعد نقطة الانطلاق للنظرية البنوية. هذه المبادئ أرسدت وجوه التمايز النظرية التي كان لها تأثير كبير على الفكر اللساني في كل المدارس اللسانية الحديثة، وهي:

#### أ. مفهوم البنية:

تعتبر البنية من أهم المفاهيم التي تأسس عليها البحث اللغوي الحديث. وهي من المفاهيم التي أحدثت ثورة في تاريخ اللسانيات. ومفهوم البنية مقترن دائما بمفهوم النظام. إلا أن هناك اختلاف بين المصطلحين حيث يتحدد مفهوم البنية في أنه: «وسيلة من الوسائل لحصر الجزئيات، ولولا البنية لما استطاع الإنسان أن يفكر، بل لما استطاع أن يدرك الإدراك الحسي للظواهر والأمور التي حوله». ومعنى هذا أن كل الظواهر المادية المحيطة حولنا، تتشكل من بنية، ولهذا: «البحث عن بنية الشيء هو البحث عن العناصر التي تتركب منها، وعن المقياس الذي ركبت هذه العناصر على أساسه».

وبهذا لا يخرج مفهوم البنية عن كونه مفهوم علمي، يخضع إلى التجريب والملاحظة بمعنى أن البحث عن عناصر الأشياء إخضاعها على الملاحظة. وإذا طبقنا هذا المبدأ على دراسة اللغة يعني أننا نخضعها لمبدأ الملاحظة من خلال العناصر المكونة لها. وأن كل عنصر فيها يحتل موقعه الخاص. أما النظام فيحيل إلى تناسق وانسجام الوحدات اللغوية، في إطار البنية.

#### ب. نظامية اللغة:

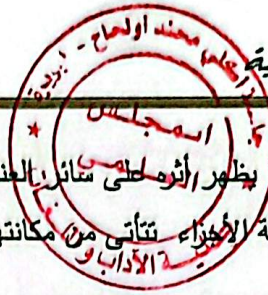
انطلق دي سوسير من منهجية واضحة أساسها أن اللغة جهاز من العلامات، فقد ذهب إلى: «أنها منظومة من العلامات»<sup>1</sup>. وقال في موضع آخر من كتابه: «اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكرة ما فإنها - هنا - تشبه الكتابة وأبجدية الصم والبكم... والإشارات العسكرية والكشافة... إلخ إنها وحسب أهم هذه المنظمات على الإطلاق»<sup>2</sup>. فأول المتصورات الهامة فيه:

#### جهاز - نظام - منظومة - تنظيم.

لم يدرس دي سوسير اللغة على أنها مجموعة كلمات وإنما درسها على أساس أنها كل يتكون من مجموعة عناصر تربطها علاقات وهذه العلاقة لا تمنح العناصر معنى في ذاتها، وإنما معناها في ارتباطها

<sup>1</sup> - دي سوسير، محاضرات في الأسنوية العامة، تر: يوسف غازي، 1986، ص ص 26-27.

<sup>2</sup> - دي سوسير، محاضرات في الأسنوية العامة، ص 27.



ببعضها، لذا فإن أي تغيير يصيب عنصرا منها يظهر أثره على سائر العناصر بل على النظام كله يقول دي سوسير: «قيمة الكل هي في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تنأتي من مكانتها في هذا الكل...»<sup>1</sup>.

ويرى العناصر في هذا النظام تشبه القطع في لعبة الشطرنج، فحين نعوض القطع بأخرى من العاج لا ينال هذا التعويض من نظام اللعبة غير أننا إذا أنقصنا من عدد هذه القطع أو زدنا فإن هذا التغيير ينال من نظام اللعبة.<sup>2</sup>

وهكذا، يرى دي سوسير أن اللغة تشكل نظاما من الوحدات المرتبطة ببعضها من خلال مجموعة من العلاقات (التركيبية والترابطية)، حيث تعتمد قيمة كل علامة مشروطة على جهة التبادل بقيم العلامات الأخرى، فاللغة مؤسسة على التعارضات Oppositions.

### ت. الآنية والزمانية:

كانت اللسانيات السائدة في القرن التاسع عشر هي اللسانية التاريخية، ولم يكن هناك تمييز واضح بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية كما ذهب إلى ذلك دي سوسير في محاضراته.

- فاللسانيات الآنية Linguistique Synchronique: تدرس أية لغة من اللغات على حدة دراسة وصفية في بعدها الداخلي كما هي في الواقع اللغوي في حالة معينة Etat de langue. ولا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الحديثة أو المعاصرة، بل يمكنها دراسة اللغات الميتة، بشرط توفر جميع المعطيات اللغوية اللازمة لإجراء دراسة علمية وصفية دقيقة.
- أما اللسانيات الزمانية Linguistique Diachronique: وهي التي تعنى بتاريخ اللغة عبر الفترات الزمنية المختلفة. فهي أشبه بالمحور العمود- ينظر التمثيل العمودي أدناه- في حين يهمل المنهج الوصفي هذه الجوانب.

يركز اللساني اهتمامه على وصف جوهر اللغة وشكلها؛ أي إنه يصف نظامها الداخلي ليكشف عن قوانينه وأصوله في فترة زمنية محددة بقطع النظر عن حالتها قبل هذه الفترة أو بعدها؛ أي «يعنى بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات اللغة المتواجدة معا وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين»<sup>3</sup>، وأما المعرفة بالعوامل السياسية والحضارية والجغرافية والثقافية للغة، فتعد ثانوية ذلك لأنها لا تضيف جديدا للدرس اللساني اللبني، ولا تنقص شيئا من قيمة النظام اللغوي. ولقد وضّح دوسير العلاقة بين اللسانيات الآنية والزمانية باستعمال "لعبة لشطرنج" كمثال حي، « حيث إن ما يهمنا في هذه اللعبة ليس نشأتها أو تاريخها

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 155.

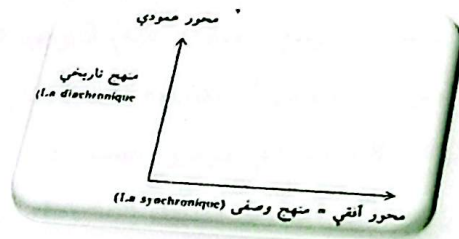
<sup>2</sup>- ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، 2008، ص 308.

<sup>3</sup>- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2. الجزائر: 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 126.



كانتقالها من إيران إلى دول أخرى وليس كل التحركات السابقة للبيادق منذ بداية اللعبة لأنها لا تتغير شيئاً من الأمر الواقع، ما يهّمنا فعلاً هو تموضع البيادق في اللحظة الحالية وعلاقتها ببعضها بعض حيث ترتبط قيمة البيدق بموقعه على الرقعة، وكذلك الحال بالنسبة للغة، إذ تستمد كل مفردة قيمتها من خلال مقابلتها مع باقي المفردات الأخرى»<sup>1</sup>.

لذلك دعا دسوسير إلى إخراج التحليل التاريخي (الدياكروني) عن الدراسات اللسانية، كون «يدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل الجماعي، والتي يحل بعضها محل البعض الآخر دون تشكيل نظام ينكر»<sup>2</sup> والاهتمام بتتبع الأصول الأولى للغات وتأكيد المنشأ المشترك لها، كما كان الأمر سائداً خلال القرن 19 في إطار المنهج التاريخي المقارن.

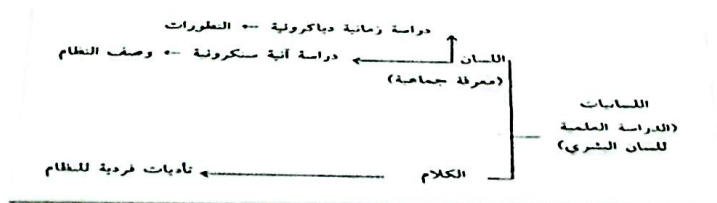


قالوصف اللغوي وتعميم المعطيات اللغوية

لا يصبح ممكناً إلا حين نفصل بين الحالة الآنية والراهنة للغة. ونشوء اللغة وتطورها وتحولاتها...<sup>3</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ دسوسير كان قد قدم مذكرة بعنوان: "ملاحظات حول النظام الأولي للحركات في اللغة الهندوأوروبية" معتمداً المنهج التاريخي المقارن، في سنواته الأولى (أي في العشرين) من عمره) إلا أنّه تخلى عن تلك النتائج لما أدرك النقائص التي يوصل إليها المنهج التطوري الدياكروني<sup>4</sup>.

ويمكننا توضيح هذا التمييز بين المنهجين الوصفي والتاريخي من خلال ما يلي:



<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 126.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 126.

<sup>3</sup> - ميشال زكريا، الألسنة علم اللغة الحديث، ط2. الجزائر: 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 146.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 146.

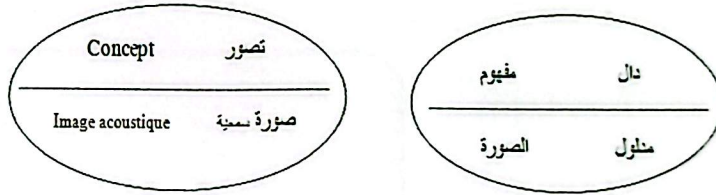


وينبغي في التحليل اللساني دائما أن يميز الباحث اللساني بدقة بين الظاهرة الأتية أو التزامنية أو الثابتة Static وبين الظاهرة التفاعبية الحركية Dinamic.

### ث. العلامة اللغوية:

تعد اللغة في نظر دوسير نظام من الإشارات Systeme de Singes التي تشير للمقصود بنية التبليغ والتخاطب والتواصل، فاللغة أصوات يعبر بها الناس عن أغراضهم قصد الإبانة والإفهام (لكل واحدة منها لفظ إذا ذكر عرف به مسماه، ليمتاز عن غيره، ويعني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره<sup>1</sup>.

إن اللساني لا يهتم بالمرجع (المدلول عليه) الموجود في الواقع أي Le Referant ، والذي يحيل على العنصر المحسوس المادي، بل إن اهتمامه منصب على المدلول (المفهوم). وعليه، فالعلامة اللسانية Le Singe Linguistique عند دي سوسير عنصر من عناصر الجهاز اللغوي وهذه العلامة يسميها "الوحدة اللسانية" وهي ذلك الكل المتكامل المدلول (المفهوم) والصورة الصوتية التي تشير إليه.



ويتكون الدليل اللساني عند سوسير من أمرين هما:

- الدال Le Signifiant وهو مجموعة الأصوات القابلة للتقطيع أي الصورة الصوتية.
- المدلول Le Signifié وهو المفهوم أو المعنى الذي يشير للدال؛ حيث تتم العملية التواصلية وفق الطريقة الآتية: يهدف المتكلم إلى إيصال مفهوم معين إلى المتلقي، والذي يمكن تسميته بالمرجع أو المدلول عليه. يقوم المتكلم بعد ذلك بالاستعانة بمعلوماته المخزنة في ذاكرته لتشغيل نظامه اللغوي الداخلي واختيار المفهوم المطابق للمرجع. ثم يرتبط هذا المفهوم بالصورة الصوتية المادية المناسبة له، والتي يكون قد ورثها من مجتمعه عبر التمثيل الثقافي والحضاري المخزون في ذاكرة الجماعة الناطقة.

فالدليل اللغوي لا يربط مباشرة بين المدلول عليه ولفظه، أو بين المدلول عليه والمفهوم. بل إنه يربط بين الصورة الذهنية للشيء المادي (المرجع) والأصوات التي تقابله. «فهذه الصورة الصوتية ليست هي

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط. بيروت: دت، ج1، دار الهدى للطباعة، ص 11.

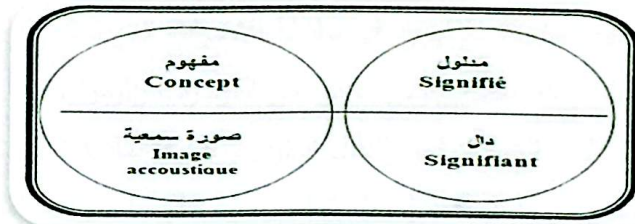


الصوت المادي؛ لأنه شيء فيزيائي محض، بل انطباع هذا الصوت في النفس، والصورة الصادرة عما تشاهده حواسنا. فالدليل اللغوي إذا كيان نفساني ذو وجهين<sup>1</sup>. هما الذل والمذلول.

كما يتضح من خلال هذا التمثيل:



إنّ الدليل اللغوي هو الذي يقرن الذل بالمذلول بعلاقة اعتباطية Abitraire أي علاقة معللة لذا يقول دي سوسير: «إنّ العلامة اللسانية لا تربط شيئاً باسم بل تصورًا بصورة سمعية»<sup>2</sup>. فإنه نصّ على أنّها توجد علاقة بين المفهوم Concept والصورة السمعية Image acoustique فهي صورة ذهنية ذات جانبيين نوكد توضيحهما في الشكل الآتي:



وعلى سبيل المثال: قلم: علامة لغوية تتكوّن من جانبيين:

1. جانب مادي فيه شقان:

- ✓ الموجود الخارجي أو الشيء؛ أي الأداة التي نكتب بها؛
- ✓ اللفظ المنطوق بالفعل الذي يتألف من أصوات واقعية.

2. جانب ذهني فيه شقان:

- ✓ مفهوم أو صورة ذهنية للموجود الذي يشار إليه بلفظ (قلم)؛
- ✓ صورة سمعية أي صورة للفظ نفسه التي تتمثلها إذا نظرت إلى كلمة (قلم) مكتوبة دون أن تتطّق بها.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان حاج صالح، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر: 1972، مج 2، ص 45.

<sup>2</sup> - دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 26.



تُعتبر العلامة اللغوية عند دي سوسير، وحدة ذهنية مركبة من عنصرين لا ينفصلان: الدال، وهو الصورة الصوتية، والمدلول، وهو المفهوم أو المعنى المرتبط بها. هذان العنصران يشكلان وحدة متكاملة لا يمكن تفكيكها، تمامًا كما لا يمكن فصل وجه من ورقة عن وجهها الآخر دون تمزيقها.

ويُميز دي سوسير بين العلامة باعتبارها حقيقة نفسية داخلية، وبين الشيء الذي تشير إليه في الواقع الخارجي، أي موضوع الإشارة. ومن هنا، فإن العلامة اللغوية لا تخضع لإرادة الأفراد أو الجماعة، فهي ليست نتاجًا حرًا أو اعتباطيًا بالكامل.

ومع ذلك، فإن وصف العلاقة بين الدال والمدلول بأنها غير مبررة أو غير منطقية لا يعني أنها عشوائية أو بلا نظام، بل يعني أن هذه العلاقة ليست قابلة للتبرير المنطقي أو السببي، فهي علاقة تقليدية اجتماعية متفق عليها بين أفراد المجتمع اللغوي. وبالتالي، فإن العلامة ليست وحدة حرة (Libre) بمعنى حرية الاختيار، بل هي علاقة اعتباطية (Arbitraire) بمعنى أنها ليست مستندة إلى سبب طبيعي أو منطقي يربط بين الصوت والمعنى.

وأبرز سوسير كذلك خصائص الدليل اللغوي ومميزاته، فهو:

- ✦ اعتباطي: يتصف الدليل اللغوي مثله مثل الأدلة الوضعية بالاعتباطية، أي أن فيه العلاقة التي ترتبط الدال بالمدلول علاقة وضعية غير طبيعية غير حتمية. فلا يوجد في سلسلة الاصوات التي تمثل الدال ما يدل على المدلول عليه إنما تم ذلك بالتواطؤ والاصطلاح عكس ما نراه في المؤشرات والرموز.
- ✦ يتسلسل في ظهوره تسلسل الزمن فله بعد واحد البعد الخطي: ليس للدليل اللغوي وركيزته المادية الصوت كما علمنا إلا بعد واحد هو بعد خط الزمن. فهو يتسلسل عند إحداثه تسلسل الزمن في خط واحد أفقي نسميه في اصطلاح أهل الاختصاص مدرج الكلام.
- ✦ كيان تقاضي سلبي: تجري مجاربه بوجوده أو بعدم وجوده، فهو يدل على مدلوله عند مقابلته مع دليل آخر. فالدليل اللساني ينتمي إلى نظام معين، وهو نظام اللغة المحددة، حيث لا يكتسب قيمته إلا من خلال تفاعله ومقابلته مع أدلة أخرى ضمن هذا النظام.

### ج. اللّغة والكلام Langue/ Parole

إنّ اللّغة تسبق الكلام - حسب سوسير - مادامت نظاما يتسبب في إيجاد الخطابات الممكن وضعها. يرى سوسير أنّ الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاثة مصطلحات أساسية: اللسان واللّغة والكلام. وقد اكتسبت هذه المصطلحات صبغة عالمية في اللسانيات الحديثة.



يميز فرديناند دي سوسير في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، بين مفهومي اللغة (langage) واللسان (la langue)، حيث يعتبر اللسان جزءاً محدداً وأساسياً من اللغة. فاللسان هو النظام اللغوي الاجتماعي الذي ينشأ داخل مجتمع معين، وهو نتاج جماعي ينبثق عن ملكة اللغة الفطرية لدى الإنسان ويقوم على اتفاقات وتواطوات ضرورية يقرها المجتمع لضمان ممارسة هذه الملكة من قبل أفرادها.<sup>1</sup>

وبالتالي، يُنظر إلى اللسان على أنه مجموعة القواعد والقوانين غير المحسوسة التي تُخزن في أذهان أفراد المجتمع، والتي تُشكّل الأساس المشترك للتواصل بينهم. وهو نظام اجتماعي متجانس لا يتحقق وجوده الكامل إلا بوجود الجماعة، إذ لا يمتلكه فرد بمفرده بشكل كامل، بل هو ملك مشترك يتوارثه المجتمع جيلاً بعد جيل.

هذا التمييز يؤكد أنّ دراسة اللسان موضوع اللسانيات العامة، لأنّ اللسان يمثل النظام الثابت الذي يُمكن من فهم بنية اللغة وعلاقتها الداخلية، بعكس الكلام (parole) الذي هو الأداء الفردي المتغير لهذا النظام.

فاللغة (langage) هي القدرة الفطرية التي تميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية، وهي ملكة طبيعية تمكن الإنسان من التواصل والتفاعل مع أفراد مجتمعه عبر نظام من الإشارات الصوتية المنظمة<sup>2</sup>. وتعد هذه القدرة شمولية، إذ يمتلكها جميع البشر بيولوجياً بغض النظر عن الاختلافات العرقية أو الحضارية أو الثقافية التي قد تطرأ على استخداماتهم اللغوية في مختلف الأزمنة والأمكنة.

تُعتبر اللغة، بهذا المعنى، نظاماً اجتماعياً يتجاوز الفرد ليشمل المجتمع ككل، فهي مجموعة من القواعد والعلاقات التي تنظم استخدام العلامات الصوتية والمعاني المرتبطة بها. هذا النظام يُسهم في بناء التواصل الفعال بين الأفراد، ويُشكل الإطار العام الذي يحدد كيفية إنتاج وفهم الرسائل اللغوية.

وعليه، فإن دراسة اللغة تتطلب النظر إليها كنظام شامل ومتكامل، يتضمن البنى الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، بالإضافة إلى وظائفها الاجتماعية والثقافية. من هذا المنطلق، يصبح فهم التمييز بين اللغة (langage) باعتبارها نظاماً عاماً وقواعدياً، والكلام (parole) باعتباره التعبير الفردي الخاص يقول سوسير: «الكلام فعل فردي متعلق بالإرادة والذكاء، ومن المناسب أن نميز في هذا الفعل بين المزاوجات

<sup>1</sup> - فرديناد دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، ص 18.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1. بيروت: 2010، دار الكتب الجديدة المتحدة، ص 216.



والتقاليد التي يفضلها يستعمل المتكلم نسق القواعد اللسانية الملزمة لكل يعبر عن تفكيره الشخصي، وبين دقة العمليات النفسية والفيزيائية التي تسمح له بان يظهر في الخارج ككده المزاجات والتقاليد»<sup>1</sup>. على عكس اللسان، يُعدّ الكلام نشاطاً لغوياً فردياً يعبر الأهل تطبيق المتكلم لقواعد نظام اللسان المشترك. فالكلام هو الأداء الفردي للنظام اللغوي، وهو مرتبط بإرادة المتكلم ونكاته، حيث يستخدم التركيبات التي يوفرها اللسان للتعبير عن أفكاره وأغراضه الشخصية. ولا يتشابه الكلام بين المتكلمين الذين يستخدمون نفس اللسان، بل يختلف من شخص لآخر، إذ لكل فرد طريقته الخاصة في أداء قواعد اللسان<sup>2</sup>. يشعر الإنسان بحرية في عملية الكلام، فهو نشاط اختياري يخضع لإرادته الشخصية.

وبناءً على ذلك، يميز دي سومير بين اللسان والكلام من حيث الطبيعة الاجتماعية والفردية، فاللسان ظاهرة جماعية وجوهرية تمثل النظام اللغوي المشترك، بينما الكلام هو تجسيد فردي ثانوي وعرضي لهذا النظام، يعكس التنوع والاختلاف بين الأفراد داخل المجتمع الواحد.

فاللغة تمثل النظام المشترك من القواعد والعلاقات التي يتقاسمها أعضاء المجتمع اللغوي، وهي ظاهرة اجتماعية مستقرة نسبياً، بينما الكلام هو التطبيق العملي والواقعي لهذا النظام من خلال استخدام الأفراد للغة في مواقف حياتية متنوعة، وهو متغير ومتعدد حسب الظروف الشخصية والاجتماعية.

هذا التمييز يُمكن الباحث من تحليل اللغة على مستويات مختلفة: من دراسة النظام اللغوي المجرد الذي يشكل البنية الأساسية للغة، إلى دراسة الاستخدام الفردي والفعلي الذي يعكس التنوع والتغير في اللغة. كما يفتح هذا الفهم آفاقاً لفهم كيفية تفاعل القواعد مع السياقات الاجتماعية والثقافية، وكيف يمكن أن تتغير اللغة عبر الزمن بفعل الاستخدامات الفردية.

علاوة على ذلك، فإن إدراك هذا الفرق يساعد في تفسير ظواهر لغوية متعددة، مثل: التغير اللغوي اللهجات، والسلوكيات الخطابية، ويبرز أهمية دراسة اللغة ليس فقط كنظام نظري، بل كظاهرة حية تتطور وتتجدد عبر الاستخدام اليومي.

يعتمد النظام اللغوي بشكل أساسي على العلاقة بين الوحدات اللغوية، والتي تتحدّد عبر اتحاد هوياتها أو اختلافها. فالتقابل والاختلاف بين هذه الوحدات يشكلان الأساس الذي تُبنى عليه جميع اللغات، إذ لا تكتسب الوحدة اللسانية قيمتها الحقيقية إلا من خلال إمكانية استبدالها بوحدة أخرى ضمن النظام ذاته.

<sup>1</sup> - فرديناد دي سومير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1987، ص 23.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، 219.



وبعبارة أخرى، لا تتحقق قيمة كل وحدة لغوية إلا إذا كانت مزودة بمجموعة من الخصائص التي تميزها وتُقابل بها كل وحدة أخرى في النظام اللغوي، مما يضمن وجود شبكة من العلاقات المتبادلة التي تُرسخ بنية اللغة وتُسهل عملية التمييز والفهم.

هذا المفهوم يُبرز الطبيعة التبادلية والتقابلية للعلامات اللغوية، وهو جوهر النظرية البنوية التي ترى في اللغة نظامًا من العلاقات المتكاملة بين عناصرها، لا مجرد تراكم لوحدات مستقلة بذاتها. إن إدراك هذه المفاهيم اللسانية يُسهم في تطوير فهمنا العميق لطبيعة اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية معقدة ومتعددة الأبعاد، تجمع بين الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافية.

### ح. العلاقات التركيبية والترابطية:

إن ثنائية العلاقة التي تبناها سوسير تمثل ركنا أساسيا في اللسانيات البنوية وتتمثل ثنائيتها في جانب يظهر في شكل علاقات رأسية تصريفية Paradimatic التي تقع بين الكلمة وما يمت إليها من صلة لفظية أو معنوية من الكلمات الأخرى التي لم يقع ذكرها في النص. وعلاقات نظمية تركيبية Syntagmatic تتكوّن بين الكلمة وغيرها من الكلمات في الجملة.<sup>1</sup>

#### 1. العلاقات التركيبية Relation Syntagmatic:

تشير إلى الروابط الأفقية بين الوحدات اللغوية داخل السلسلة الكلامية الواحدة، مثل العلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة أو بين كلمات الجملة الواحدة. كل وحدة تضيف معنى إضافيًا إلى الكل، وتكون في حالة تقابل مع الوحدات اللغوية الأخرى، حيث لا تكتسب قيمتها إلا بتفاعلها مع الوحدات التي تسبقها أو تتبناها. تُسمى هذه الأنساق الخطية تراكيب.

على سبيل المثال: في الجملة (قرأ الطالب الكتاب)، نجد ثلاث علاقات تركيبية بين ثلاث وحدات:

(قرأ) + (الطالب) + (الكتاب).

وعلى مستوى المفردات، تظهر هذه العلاقة التركيبية في إدماج بعض الصوامت ضمن أنساق تركيبية معينة وفقًا للقواعد الصوتية (الفونولوجية) المتعارف عليها، لتكوين مفردة لغوية. على سبيل المثال، المجموعة الصوتية التالية: (ك) + (ت) + (ا) + (ب) التي تعني مجتمعة (كتاب).

ويرى سوسير بأن الكلمات تكتسب في الخطاب علاقات مبنية على ضوء اللغة الخطية بسبب ترابطها مع بعضها الأمر الذي يمتنع نطق عنصرين في آن واحد.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، دط، القاهرة: 1988، ص4.



## 2. العلاقات الترابطية Relation Paradigmatique:

يشير مفهوم العلاقات الترابطية إلى العلاقات التي تربط بين العناصر اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض في نفس السياق، إنها تعكس علاقة موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة وإنما هي موجودة في ذهن المتكلم أو في أذهاننا بصورة عامة. قال دي سوسير: « تتسم الكلمات خارج الخطاب بشيء مشترك وتترابط في الذاكرة مشكلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة فكلمة (enseignement) أي: (تعلم) مثلا تجعل قافلة كلمات أخرى تتبثق في الذهن لا شعوريا فتستدعي مثل: Enseigner, Renseigner : علم، أعلم، أو arrnement, Changement (أي تسليح متغيير) أو تربية، اكتسابéducation Apprentissage. إن الكلمات مجتمعة شيء مشترك من جانب أو من آخر».<sup>3</sup>

ومن الممكن أن نذكر للتوضيح ما ذكره بعض الدارسين من الشواهد الشارحة للعلاقة الترابطية كما يلي:

1. أصبح الجو بارداً.
2. صار المناخ رطباً.
3. كان الأمن منعماً.

يمكنك أن تعوض كلمة (أصبح) مثلا ب: صار، وكان، وأضحى... إلخ

وتعوض كلمة (المناخ) ب: الجو، والأمن، والبحر، والطفل، والمعهد... إلخ

وتعوض كلمة (بارداً) ب: رطباً، ومنعماً... إلخ هذا في الكلمة على المستوى التركيب.

أما على مستوى المفردات فإن تحديد كل صوت يتم بمقابلته بالأصوات الأخرى التي يمكن أن تحل محله في

سياقات متعددة من أجل تكوين الكلمات؛ كأن تستبدل الصوت الأول (الاستهالي) ببعض الأصوات على أن

تبقى الصوتين: الثاني والثالث نحو: نام/ قام/ رام/ دام.

أو تستبدل الصوت (الحرف) الثاني من الكلمة بصوت آخر وتبقى الحرف، عفن، عان.

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات بين النشأة والتطور، ص 130.

<sup>2</sup> - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 313.

<sup>3</sup> - دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 149 / 150.



فالعلاقة التركيبية كما ذكر سوسير حضورية تقوم على عبارتين أو أكثر في سلسلة كلامية موجودة بقوة الفعل. أما العلاقة الترابطية فتربط أو تجمع بين عبارات خيالية في سلسلة كلامية موجودة في الذاكرة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 150.



تأسست حلقة موسكو اللسانية عام 1915 في جامعة موسكو، تتألف من جماعة من العلماء والدارسين الذين كان لهم تأثير كبير في تطوير علم اللسانيات. على رأسها رومان جاكبسون (1896-1982)، أحد أبرز علماء اللسانيات في القرن العشرين. إلى جانبه، ضمت الحلقة شخصيات بارزة مثل بيوتر بوجاتريف Pioter Bogatyrev، الذي أصبح عالم فلكلور سلافي متميزاً، وفلاديمير بروب Vladimir Prop المعروف بأبحاثه في الفلكلور. كما ضمت الحلقة جريجوري فينوكور Boris Grigori، بوريس توماشيفسكي، وأوسيب بريك، وجميعهم ساهموا في تطور الدراسات اللسانية.

أحد الشخصيات الهامة التي انضمت إلى الحلقة في عام 1917 كان سيرجي كارتشيفسكي Sergei Karcevski (1884-1955)، الذي تتلمذ على يد عالم اللسانيات الشهير فرديناند دي سوسير. كارتشيفسكي لعب دوراً كبيراً في نشر أفكار دي سوسير بين أعضاء الحلقة، وخاصة جاكبسون، الذي أسهم في تطوير هذه الأفكار والترويج لها على نطاق واسع.

اعتمد جاكبسون بشكل كبير على المبادئ التي أسسها سوسير في علم اللسانيات، وجعلها نقطة انطلاق للكثير من أعماله وإسهاماته في هذا المجال، سواء ضمن حلقة موسكو أو خارجها.

ويمكن الإشارة إلى أهم المراحل التي مرّ بها جاكبسون، أسهمت في تشكيل مسيرته العلمية والعملية في مجال اللسانيات، وهي<sup>1</sup>:

**المرحلة الأولى:** في بدايات حياته المهنية، كان جاكبسون من بين المؤسسين لحلقة موسكو اللسانية. خلال هذه الفترة، استعاد بشكل كبير من أفكار عالم اللسانيات السويسري فرديناند دي سوسير، والتي كانت أساساً لتطوير مفاهيمه اللسانية الخاصة.

**المرحلة الثانية:** عام 1920، انتقل جاكبسون إلى تشيكوسلوفاكيا، وهو الانتقال الذي شكل نقطة تحول في حياته. هناك، شارك في تأسيس حلقة براغ اللسانية بالتعاون مع نيكولاي تروبتسكوي. خلال هذه المرحلة، تعمق جاكبسون في دراسة أفكار دي سوسير وتأثر بها بشكل واضح، مما ساهم في توسيع نطاق أبحاثه وتطوير رؤاه في اللسانيات.

<sup>1</sup> - مراد عبد الرحمن مبروك آليات المنهج الشكلي في الرواية العربية المعاصرة، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2002، ص



المرحلة الثالثة: بعد هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ جاكسون بالتركيز على قضايا اللسانيات العامة. تأثر بأفكار دي سوسير حول اللغة باعتبارها نظاماً من العلاقات بين الوحدات اللغوية، حيث تُفهم القيمة اللغوية للعنصر من خلال علاقته بالعناصر الأخرى داخل النظام. هذه الفكرة، التي ترى أن اللغة بنية مكثفة بذاتها، أصبحت محوراً رئيسياً في أبحاث جاكسون ووجهت أعماله في دراسة اللسانيات.

### مبادئ حلقة موسكو:

تتميز مبادئ حلقة موسكو اللسانية برويتها المبتكرة للغة والأدب، وتتمثل في النقاط التالية:

1. التركيز على اللغة كموضوع مستقل: رفض أعضاء حلقة موسكو اللسانية الهيمنة التقليدية للمناهج السياقية التي تدرس اللغة والأدب من خلال الظروف الاجتماعية أو التاريخية. بدلاً من ذلك، ركزوا على اللغة ذاتها، معتبرين أنها نظام مستقل يتطلب فهماً من خلال بنيته الداخلية فقط.
2. رؤية الأعمال الأدبية كبنى مغلقة: اعتبر رواد الحلقة أن الأعمال الأدبية يجب أن تُفهم باعتبارها بنى مغلقة على ذاتها، مكثفة بجمالياتها وعناصرها الفنية دون الحاجة إلى تفسيرها عبر السياقات الخارجية. أي أن النص الأدبي يُنظر إليه كمنظومة قائمة بذاتها.
3. تطوير مصطلحات لسانية متعلقة بالصوتيات: قدّم جاكسون وترويتسكوي مجموعة من المفاهيم الجديدة في علم الصوتيات:
  - الارتباط: علاقة واضحة ومفهومة بين صوتين أو أكثر، تعكس كيفية تفاعل الأصوات داخل النظام اللغوي لإنتاج معاني أو فروق دلالية.
  - القطع: غياب العلاقة بين صوتين، حيث يكون الفرق بينهما هو السمة الوحيدة المميزة، مما يشير إلى اختلافات أساسية في النظام الصوتي.
  - الفونيم الأساسي: يمثل الخصائص المشتركة التي تجمع بين صوتين أو أكثر، مما يساهم في توحيدهما كجزء من نفس الوحدة الصوتية أو الفونيم.
4. اللغة كنظام بنيوي: اعتبرت الحلقة أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي بنية معقدة من العناصر التي تعمل معاً وفق قوانين محددة. هذه النظرة البنيوية للغة كانت أساساً لتطوير العديد من النظريات اللسانية في القرن العشرين.
5. التأثير على الدراسات اللسانية والأدبية: أسهمت أفكار حلقة موسكو في إعادة توجيه البحث الأكاديمي نحو تحليل أعمق للغة والأدب كبنى مستقلة، مما أثر على تطور مدارس مثل الشكلانية الروسية والبنيوية.

مجمل هذه المبادئ ساهم في تأسيس نهج جديد في الدراسات اللسانية والأدبية، حيث أصبحت اللغة تُفهم كنظام مستقل ومعقد، مما فتح آفاقاً جديدة لفهم النصوص وتحليلها.



أسس العالم التشيكي فيلام ماثيزيوس V.Mathesius حلقة براغ اللسانية بمدينة براغ التشيكية عام 1926 وذلك بمساعدة بعض طلابه ومجموعة من اللسانيين التشيكيين. ومن أقطابها: ب. ترنك B.Tranka، و ج. فاشك J.Vachek، وب. هافرانك B.Havranek، وت. موكارفسكي T. Mukarovsky، وك. هورالك K. Horalek، وف.سكالكا، وج.م. كورينك.

وقد كانت بداية ظهور علامات البروز والشهرة لهذه المدرسة حينما انضم إليها سنة 1928 ثلاثة لسانيين روس فروا من روسيا خلال الثورة البلشفية أو بعدها؛ وكان سبب فرارهم هو عدم توافق آرائهم اللغوية مع فلسفة الفكر الشيوعي للثورة البلشفية، وهم: رومان ياكبسون الذي عمل أستاذاً في برنو (من 1920-1940)، ثم بأمريكا في جامعات كولومبيا ونيويورك وهارفارد، ونيكولاي ترينسكوي (1890-1938) الذي غادر وطنه خلال الثورة ليصبح أستاذاً بفينا، وسيرج كرسفسكي (1884-1955) الذي ظلّ يعمل أستاذاً بجنيف إلى غاية وفاته.

وأهم ما يتميز به هؤلاء اللسانيون الثلاثة هو تأثرهم في درس اللغة بما جاء به دي سوسير حيث تبنا المنهج الوصفي بدل من المعياري أو التاريخي في دراسة اللغات، وقد غلب عليهم أمران، هما:

1. التركيز على الصوتيات؛

2. الاهتمام بالوظائف اللغوية، أو المهام التي تؤديها اللغة.

أي أنهم عملوا برأي سوسير، وهو الاهتمام بالعالم الداخلي للغة "الأصوات"، وتناولوا العلاقة بين اللغة والواقع غير اللغوي.

ومما لا مرية فيه أنّ مؤلف دي سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة" كان له أثر كبير على بزوغ حلقة براغ اللسانية، الذي شرع فيما بعد بعقد ندوات منتظمة ويتوجه ببحوث في اللسانيات الوظيفية على وجه الخصوص. وما اللسانيات الوظيفية إلا فرع من فروع البنيوية.

وبالإضافة إلى ما جاء به بودوان دي كورتوناي، وتلميذه كروسفسكي، وأوتوجسريسن من المفاهيم المتصلة بالفونيم، والتي تعدّ القاعدة التي قامت عليها مبادئ مدرسة براغ الفونولوجيا.<sup>1</sup> وازداد توسع المدرسة

<sup>1</sup> - ينظر: جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزوي، دط. سوريا: دت، مؤسسة الوحدة، ص 98-142.



عام 1930 لينضم إليها مجموعة من اللسانيين منهم الفرنسيون: أ. مارتني، وإميل بنفست وينيير، والنمساوي ك. باهر، والنرويجي أ. سومرفالت، والسويدي ه. ليندروث والدانماركي ل. بالمسلاف.

وتبرز أعمال هؤلاء اللسانيين أساسًا في ميدان الفونولوجيا Phonologie وهو الميدان الذي تجلت فيه أكثر آثار نظرية دي سوسير البنوية.<sup>1</sup>

وقد سميت بالمدرسة الوظيفية، لأن أصحابها يرون أن دراسة اللغة تعتمد على تحليل الوظائف التي تؤديها عناصر الكلام في عملية التواصل، انطلاقًا من رؤية جديدة. وكان دي سوسير قد أرسى دعائمها وهي إقراره بأن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل. فاللغة البشرية كما ينص مارتيني تتيح لكل إنسان تبليغ خبرته الشخصية إلى نظائره ويشمل مفهوم الخبرة كل ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه سواء أخذت صيغة يقين أم شك أم رغبة أم حاجة.

ويمكن للتبليغ أن يتم في قالب إثبات أو طلب بالأمر والاستفهام دون أن يخرج عن إطاره الخاص. لهذا ترى الوظيفية أن البنية النحوية والدلالية والفونولوجيا للغات تتشكل وفقًا للوظائف المختلفة التي تؤديها في المجتمع. للغة وظائف أخرى غير تبليغية تُعتبر ثانوية.

#### 1. منهج الدراسة في هذه المدرسة:

يتميز منهج مدرسة براغ بتحليل شامل لنظام اللغة بمستوياته المختلفة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية من منظور وظيفي بحت. وهذا ما يميزه عن المناهج اللسانية الأخرى، حيث يُنظر إلى اللغة من قبل علماء اللغة في هذه المدرسة كنظام من الوظائف، وكل وظيفة تُعتبر نظامًا من العلامات. وذلك مخالف لما قال به دي سوسير إن اللغة نظام من العلامات.<sup>2</sup>

وضّح سامبسون رؤية أصحاب هذه المدرسة تجاه اللغة؛ كونها تُشبه محركًا، وعلى اللغويين أن يفهموا الوظائف التي تقوم بها مختلف مكونات هذا المحرك، وكيف تُحدد طبيعة كل مكون طبيعة المكونات الأخرى. ولم يكتفِ أصحاب هذه النظرية بالوصف فقط، بل انتقلوا إلى التفسير. مجيبين عن سؤالين رئيسيين ماذا تشبه اللغات؟ ولماذا جاءت على هذه الشاكلة؟

<sup>1</sup>- ينظر: ر. ه. رويتر، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، 1998، عالم المعرفة، ص 322.

<sup>2</sup>- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 136.



## 2. أعمال مدرسة براغ اللسانية:

وقد تركزت أعمال مدرسة براغ اللسانية في المجالين الآتيين:

- الدراسات الصوتية الوظيفية الآتية (علم الأصوات الوظيفي الآتية)
- الدراسات الصوتية الوظيفية التاريخية (علم الأصوات الوظيفي التاريخي)
- التحليل الوظيفي والعروضي للبنية (في المفردات الشعرية)
- تصنيف التضاد الفونولوجي (ضبط السمات الحلافية المميزة للوحدات الصوتية)
- الأسلوبية اللسانية الوظيفية
- دراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون...

### 3. موضوع الصوتيات الوظيفية Phonologie:

أطلق مؤسسو مدرسة براغ على منهجهم في الدراسة الصوتية اسم "الصوتيات الوظيفية". يختص هذا الفرع من اللسانيات الحديثة بدراسة الأصوات من منظور وظيفتها داخل نظام اللغة الكلي، ويشمل ذلك استخراج جميع الفونيمات وتحديد خصائصها، بالإضافة إلى دراسة كيفية توزيع "الألفونات". ويطلق على هذا النوع من الدراسة في أمريكا اسم Phonémics.

ومن ثمة فإن إبراز الجانب الوظيفي للصوت اللغوي والميز بين الصوت من حيث كونه أنزاسمعيًا طبيعيًا، ومن حيث كونه وحدة صوتية وظيفية تسهم في بناء النسق اللساني؛ أي العلاقة المتشابكة بين الصوت والتركيب والدلالة جعل علم الأصوات الوظيفية يمتلك شرعية وجوده بوصفه علمًا مستقلًا يختلف عن علم الأصوات العام الذي يتعامل مع الأصوات في جانبها الفيزيولوجي والفيزيائي، ويتعقب مسارها من مصدرها النطقي إلى تأثيرها السمعي. من الضروري أن لا يخلط الدارسون بين الصوتيات والصوتيات الوظيفية. فالصوتيات هي فرع من اللسانيات يركز على دراسة الأصوات الكلامية من حيث نطقها وتمثيلها وتوزيعها. تنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسية:

#### 1. الصوتيات النطقية Arti-phonétiques culatory: تركز على وصف الجهاز الصوتي ومخارج

الأصوات، أي كيفية إنتاجها من قبل المتكلم.

#### 2. والصوتيات السمعية auditoire phonétiques: وتُعنى بعملية تلقي الأصوات وإدراكها أي

المستمع.

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 136.



3. والصوتيات الفيزيائية *acoustique phonétiques* وتدرس الجانب الفيزيائي الصرف المتمثل في انتشار الموجات الصوتية من فم المتكلم إلى أذن المستمع عبر ذبذبات صوتية معينة. وبالإضافة إلى هذه الفروع الثلاثة هناك فروع أخرى لا تحتاج إلى تفصيل في هذا المقام منها: الصوتيات التجريبية، والتاريخية والآلية والمعايرية والزمنية والتعاملية.<sup>1</sup>

ومن هنا، موضوع علم الأصوات العام هو الصوت الطبيعي من الناحية التشريحية والفيزيائية، بينما يتخذ علم الأصوات الوظيفي الوحدة الصوتية الوظيفية موضوعاً له، وهي أصغر وحدة صوتية ليس لها معنى في ذاتها ولا يمكن أن تتجزأ إلى وحدة أصغر منها، ولكنها قادرة على توليد المعنى، وتفرعه، وتنوعه عندما تُركب مع وحدات صوتية أخرى.

إذن لكل وحدة صوتية خصائص وظيفية خاصة بها، بمعنى أنها تقوم بوظيفة معينة داخل سياق الجملة، إذ إنها تميز بين معاني الكلمات، وهي الخاصية التي وسمتها مدرسة براغ بالسمات المميزة *Traits distinctifs*.

وتضيف مدرسة براغ إلى فكرة الوظيفية أو السمات المميزة في ضوء علم الأصوات الوظيفي فكرة ثانية هي فكرة *التقابل Opposition* بين الوحدات الصوتية. وتطلق مدرسة براغ في هذا الشأن من مقولة سوسير المشهورة: " ليس في اللغة إلا الاختلافات بل يمكن أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. فوجود اختلاف ما يفترض بصورة عامة وجود عناصر إيجابية يقوم بينها ذلك الاختلاف، أما في اللغة فإنك لا تحدد إلا اختلافات بدون وجود لعناصر إيجابية فسواء اعتبرت المدلول أو الدال فإنك لن تجد في اللغة أفكاراً ولا أصواتاً وجودها سابق لوجود النظام اللغوي كما قد يتبادر إلى الذهن إنما تجد فيها اختلافات متصورية وأخرى صوتية نابعة من النظام الفروق".<sup>2</sup>

كل تقابل بين وحدتين مختلفتين يؤدي إلى تغيير في معاني الكلمات ضمن لغة معينة نسميه *التقابل الصوتية Opposition Phonologique* أو *المقابلة الصوتية المميزة Opposition Phonologique distinctive*.

وبعبارة أخرى، فإن *التقابل* يعني *التضاد*، إذ لا تجتمع سمات وحدتين صوتيتين معاً على السلب ولا على الإيجاب، وإنما ينبغي أن تكون سمات الوحدة الواحدة سلبية في حالة إيجاب سمات الوحدة الأخرى والعكس، شريطة أن تنتمي معاً إلى مخرج واحد.

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

<sup>2</sup> - عبد القادر المهيري، محمد الشاوش، أهم المدارس اللسانية، دط. تونس: 1986، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، ص 20.



فالاختلاف الدلالي بين (مات) و(بات) يعود إلى التعابير بين (الميم) و(الباء)، كلا الصوتين شفوي فهما متجانسان من حيث المخرج. فما اختلف بينهما؟ التعابير الأساس الذي يفصل بينهما فصلاً وظيفياً يتبدى في صفة الغنة. ويمكن لنا كتابة هذا الاختلاف أو التعارض الوظيفي بالشكل الآتي:

م ← /+ غنة/.

ب ← /- غنة/ فالغنة سمة مميزة لصوت الميم.

وكذلك الاختلاف الوظيفي بين /سار/ و/صار/:

ص ← /+ مطبق/

س ← /- مطبق/ الإطباق سمة مميزة لصوت الصاد.

ويعدّ التقابل بين وحدتين الصوتيتين /ر/ و/غ/ في الوجدتين /راب/ و/غاب/ تقابل صوتي مميز، لأنه يعطينا معنيين متميزين ومختلفين. ويتم التقابل على أساس الاستبدال *Commutation*. فأضحى التحليل الفونولوجي «يراعي في منهجه أوجه الشبه القائمة بين الوحدات الصوتية، ثم ينطلق من هذه المجموعة المتشابهة من أوجه الشبه ليستخلص أوجه الخلاف المميزة لها»<sup>1</sup> وهذه التقابلات الاستبدالية أثبتت فعاليتها في التحليل الصوتي البنوي، باعتبارها تساعد على تحديد الوحدات الصوتية (الفونيمات) وهو هدف الدراسات الفونولوجية.

وهكذا قام رواد هذه المدرسة بتصنيف الأنظمة الفونولوجية بطرق مختلفة. حسب السمات مميزة للفونيمات. ففي اللغة الانجليزية، تُمثل هذه الفونيمات /p/ و /b/، /T/ و /D/، /K/ و /G/ تضاداً *Opposition* بين الصوت المهموس والصوت المجهور على مستوى مخارج الأصوات. ويفضل أعمال مدرسة براغ في هذا الميدان.

أصبح الفونيم أحد المقومات الأساسية للنظرية اللسانية عامة وللوصف العلمي والتحليل المنهجي لمختلف الظواهر اللغوية الخاصة. ولما بزغ زمن التركيب في ظل التحول الذاتي للنظرية اللسانية أصبح التفرغ إلى سمات مميزة غير ناجع بما يكفي حتى يمتد إلى التحليل التركيبي والدلالي، وهذا ما طوره أندري مارتيني لاحقاً.

وبينما كانت معظم جهود مدرسة براغ منكبّة على دراسة الفونيم وتطوير النظرية الفونولوجية، فإنّ بعض أعضائها قاموا بعدد لا يستهان به من الإسهامات القيمة في مجالات أخرى من اللسانيات كالأسلوب

<sup>1</sup> - رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، تر: بدر الدين قاسم، دط. سوريا: 1980، منشورات وزارة التعليم العالي، ص 93.



طبيعة محاضرات في قياس مدارس لسانية اولحاح - بيروت  
والأسلوبية، والدراسات التركيبية والصرفية والدراسات المقارنة كمقارنة اللغة التشيكية ببعض اللغات السلافية الأخرى.

#### 4. المصطلحات المستعملة في الصوتيات الوظيفية Phonologie :

ومن المصطلحات المستعملة في الصوتيات الوظيفية، وهي كالاتي:

##### • الفونيم Phonème :

الفونيم (الصوت) هو أصغر وحدة صوتية تسهم مع غيرها في تشكيل وحدة صوتية أكبر من الفونيم وهي المقطع (Syllabe) أو المورفيم الصرفي (Morphème) . كما يسهم الفونيم في تمييز مورفيم عن آخر، مما يؤثر على تغيير معنى الوحدة "العلامة اللغوية" وقد يؤدي أحياناً إلى إنشاء صيغة صرفية أو اشتقاقية جديدة، مثل تحويل كلمة "Cat" من المفرد إلى الجمع "Cats"، أو الاسم إلى فعل.... الخ

##### • الألوфон Allophone :

فهو عضو في فونيم ما يتماثل صوتياً مع سواه من ألوفاون الفونيم ذاته ويتوزع معها تكاملياً، أو يتغير معها تغيراً جزئياً. وتنقسم الفونيمات إلى فونيمات قِطْعِيَّة Segmental تشمل: الصوامت والصوائت، وفونيمات فوق القِطْعِيَّة Supra Segmental وتشمل: النبرات Stress والفواصل Joncture والتغيمات Pitch وطول الصوت Word-length. وتختلف اللغات في عدد فونيماتها، وليس جميع الفونيمات موجودة في جميع اللغات، كما أن الفونيم ذاته قد يوجد في لغتين ولكن بمكان نطق مختلف مثل: صوت /ت/ /ت/ الأسنان في العربية وصوت /t/ اللثوي في الانجليزية، ومثل صوت /ر/ التكراري في العربية وصوت /r/ الانعكاسي في الانجليزية الأمريكية. ما يُعتبر فونيماً في لغة ما قد يُعتبر ألوفاوناً في لغة أخرى، والعكس صحيح.

وقد أولت مدرسة براغ هذه المتصورات عناية فائقة، وطوّرت بعض المفاهيم الأخرى التي ساعدت على تحليل اللغة بطريقة دقيقة للغاية.

وفي هذا المقام نعرض جهود عالمين من أعلام مدرسة براغ اللغوية هما نيكولاي تروبتسكوي ورومان جاكسون، اللذان تميزا بعمق معرفي وجهود علمية تأسيسية في مجال اللسانيات الوظيفية والبنوية.



5. جهود نيكولاي ترويتسكوي (1890 - 1938) هو العالم لغويات روسي من أسرة نبيلة توارثت لقب الإمارة في روسيا وليتوانيا، حيث اشتهر أفرادها بالقادة العسكريين والمبكرين والعلماء. ولد في موسكو وتلقى تعليمه الجامعي في جامعة موسكو حيث درس اللسانيات الهندوأوروبية وأتم دراسته عام 1913، ثم تابع دراساته في جامعة لايبزيغ بألمانيا بين 1913 و1914 حيث حضر محاضرات في علوم اللغة.



عمل أستاذًا في جامعة روستوف عام 1918، لكنه اضطر لمغادرة روسيا بعد الثورة البلشفية وسيطرة النظام السوفييتي، فاستقر في براغ ثم في فيينا، حيث تفرغ للبحث في تاريخ اللغات السلافية والدراسات المقارنة للغات شمال القوقاز. انضم إلى الحركة الأوراسية التي كانت تعارض النظام السوفييتي، وتبنت رؤية حضارية تجمع بين الروح القومية وأفكار الكنيسة الأرثوذكسية السلافية.

يعتبر ترويتسكوي من مؤسسي حلقة براغ اللغوية التي تأسست عام 1926 وبلغت ذروتها في الثلاثينيات، وشارك في المؤتمر الدولي الأول للغويين عام 1928 بتقديم برنامج واضح للدراسة الفونولوجية مع رومان جاكسون وفيلم ماتسيوس. في عام 1930 انتخب عضوًا في أكاديمية العلوم في فيينا.

يُعرف ترويتسكوي بوضعه أسس علم الفونولوجيا كعلم مستقل عن اللسانيات، حيث طور نظرياته بناءً على أفكار بودوين دي كورتتي وفريديناند دي سوسور، وأصدر كتابه "أسس الفونولوجية" عام 1939، الذي يعد مرجعًا أساسيًا في هذا المجال وترجم إلى عدة لغات. كما أسس علم المورفونولوجيا (علم الأصوات الصرفية) وحدد مهامه التي تتعلق بدراسة أصوات الكلام وعلاقتها بالتصريف والنحو، مع التركيز على الترتيب الصوتي والوظيفي للحروف داخل الكلمة.

ترك ترويتسكوي إرثًا علميًا غنيًا من المؤلفات المهمة مثل "أسس الفونولوجية"، و"دراسات حول علم الأصوات المقارن للغات شمالي القفقاس" (1926)، و"دراسات في اللغة البولندية" (1929).

توفي في فيينا عام 1938، لكنه ظل من أبرز العلماء الذين أسهموا في تأسيس اللسانيات البنوية والوظيفية، ولا سيما من خلال مدرسة براغ اللغوية التي أثرت بشكل كبير في الدراسات اللغوية الحديثة.

يعد ترويتسكوي المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي الذي يعرف بالفونولوجيا أو الفونيميك *Phonemics* بالاصطلاح الأمريكي، ومن آرائه في هذا المجال أن الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس، ويُفرضي إلى مجموعة من القواعد المتعلقة بهذا المفهوم، منها:



✓ إذا كان صوتان من نفس اللغة، والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر دون تغيير المعنى، فإنهما يعتبران صوتين اختياريين لفونيم واحد، مثل: "قال" و"قال". فالاختلافات الصوتية التي لا تؤدي إلى اختلافات دلالية، هي اختلافات غير فونيمية، والشيء الذي يعين على التمييز بين الفونيمات هو في الواقع ليس الصوت بالذات، بل وظيفة الصوت التي تعطينا معنى مغايراً.

الفرق غير الوظيفي، فيتمثل في الفرق بين: /ب/ و/ب/، و/ق/ و/ق/ في بعض اللهجات العربية كقولك: باريس وباريس، أو قال وقال.

✓ إذا كان الصوتان من نفس اللغة متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولكن لا يظهران في نفس السياق الصوتي، فإنهما يشكلان تركيباً لفونيم واحد، مثل: تعدد صور صوت النون في العربية بتنوع الأصوات الموالية لها. ويعتقد تروبتسكوي أن الفونيم هو نمط صوتي يمكنه تمييز الكلمات وأشكالها والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات. كما أن مصطلح "الأولفون" يشير إلى الصوت الكلامي الفعلي.

✓ إذا كان الصوتان من نفس اللغة وفي نفس السياق، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر دون تغيير المعنى، فإنهما يمثلان صورتين لفونيمين مختلفين، مثل "حال" و"جال". فالحاء والجيم في هذه الحالة هما فونيمان مستقلان لا يمتلكان معنى في ذاتهما، ولكنهما قادران على تغيير الدلالة.

مصطلح الفرق الوظيفي. وهو فرق بين صوتين ينجم عنه اختلاف في الدلالة. وذلك كالفرق بين /p/ و/b/ في اللغة الأوروبية مثلاً. (القيمة الخلفية)



لقد ساهمت مدرسة براغ في بلورة مفهوم اللغة كنظام وظيفي، يركز على دراسة الوظائف التي تؤديها اللغة في التواصل بدلاً من الاختصار على البنية الشكلية فقط، وهو توجه يعكس تطوراً مهماً في الفكر اللساني بعد دي سوسير. وقد عرفت المدرسة اهتماماً خاصاً بالصوتيات ووضعت أسساً متينة للفونولوجيا الحديثة، مع التركيز على العلاقة بين البنية الصوتية والوظيفة التواصلية.

رومان ياكوبسون، بصفته أحد أبرز أعلام مدرسة براغ، كان له دور محوري في تطوير النظرية الوظيفية للغة.

رومان ياكوبسون *Roman Jakobson*، هو عالم لغوي، وناقد أدبي روسي ولد 11 أكتوبر 1896 من رواد المدرسة الشكلية الروسية، وقد كان أحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والشعر والفن. نشأ ياكوبسون في مسقط رأسه في روسيا لعائلة ميسورة من أصل يهودي وقد نمت لديه اهتمامات باللغة منذ نعومة أظافره. وقد كان في مرحلة الدراسة أحد



البارزين في الدائرة اللغوية في موسكو.

وقد شارك في أنشطة جماعة الطلائع في الفن والشعر. كانت الحالة اللغوية في ذلك الوقت منصبة على منهج النحويين الجدد الذين كانوا يؤكدون على أن الدراسة العلمية الوحيدة الممكنة للغة تتمثل في دراسة تاريخها وتطور مفرداتها خلال الزمن وهو المنهج التاريخي الذي وضعه سوسير. إلا أن ياكوبسون كان قد اطلع في تلك الفترة على أعمال اللغوي، فيرديناند دي سوسير ونجح في تطوير منهج ركز فيه على أن بنية اللغة هي التي تؤدي وظيفتها الأساسية وذلك من أجل تناقل المعلومات بين مستخدمي اللغة.

وقد كان العام 1920 عاماً شهد تقلبات سياسية عارمة في روسيا، فانتقل ياكوبسون إلى براغ كعضو في البعثة الدبلوماسية السوفييتية لإتمام دراسته العليا. وقد انغمس في الحياة الأكاديمية والثقافية في تشيكوسلوفاكيا حينها وأقام علاقات وثيقة مع عدد من الشعراء والشخصيات الأدبية في التشيك. وقد كان له أثر يذكر على الأكاديميين في التشيك من خلال دراساته التي كان يجريها على النصوص التشيكية، وقد تكلفت جهوده بإنشاء المدرسة البراغية في النظريات اللغوية حيث أسسها مع زميله نيكولاي تروبيتسكوي بالإضافة إلى رينيه فيليك و يان موكاروفسكي. وقد ساعدت أعماله العديدة في مجلة الصوتيات على المضي قدماً في القضايا المتعلقة بالبنية والوظيفة اللغوية. وقد كانت نظرية ياكوبسون العالمية في الصوتيات البنوية الوظيفية، والتي اعتمدت على تسلسل درجات التمييز للسمات المميزة، وقد كان ذلك أول مستوى ناجح للتحليل اللغوي وفق الفرضيات التي طرحها سوسير.

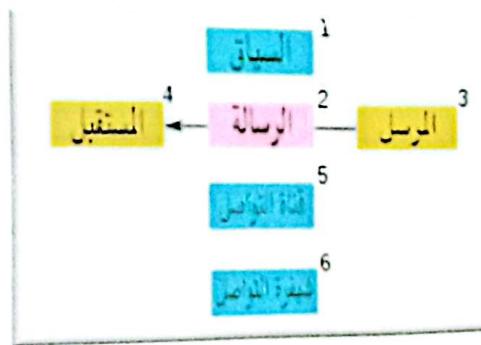


ترك ياكوبسون براغ عند اندلاع الحرب العالمية الثانية وانتقل إلى إسكندنافيا حيث كان مرتبطاً مع الحركة اللغوية في كوبنهاغن وقد كانت تربطه علاقة مع بعض المفكرين مثل هيلمسليف. ومع التطورات التي حصلت في الحرب العالمية الثانية والتقدم نحو الغرب انتقل ياكوبسون إلى مدينة نيويورك حيث أصبح جزءاً من حلقة أوسع من المهاجرين من المفكرين والمتقنين الذين انتقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كما قد كان مرتبطاً عن كثب مع مجتمع المهاجرين من التشيك خلال تلك الفترة. وقد تمكن من الاجتماع بالعديد من اللغويين وعلماء الإنسانيين الأمريكيين مثل فرانس بواب و بينيامين وورف و ليونارد بلومفيلد. وأصبح ياكوبسون مستشاراً في الجمعية الدولية للغة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية. وانتقل ياكوبسون عام 1949 إلى جامعة هارفارد حيث تقاعد.

في العقد الأخير من حياته، عمل رومان ياكوبسون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) ، حيث نال الدكتوراه تقديراً لإسهاماته العلمية الكبيرة. خلال فترة الستينيات، تحول تركيزه البحثي نحو تقديم رؤية أشمل للغة، فوسع اهتمامه ليشمل علوم التواصل بشكل عام، معتبراً اللغة جزءاً من منظومة أوسع للتواصل الإنساني.

وقد اشتهر ياكوبسون بنظريته المعروفة بالست وظائف التواصلية، التي ربط فيها كل وظيفة بأحد عناصر عملية التواصل الأساسية، موضحاً كيف تتفاعل هذه الوظائف في النصوص المختلفة، مثل النص الشعري الذي يبرز فيه عنصر الرسالة بوظيفته الشعرية بشكل خاص.

يمثل هذا التوجه نقلة نوعية في فهم اللغة، إذ لم يعد يقتصر على دراسة البنية اللغوية فحسب، بل شمل دراسة الوظائف التواصلية المتعددة التي تؤديها اللغة في سياقاتها الاجتماعية والثقافية. الموضحة في المخطط التالي:



هذا المخطط يعكس كيف يرتبط كل عنصر من عناصر عملية التواصل بوظيفة لغوية محددة، وهو من أهم إسهامات رومان ياكوبسون في علم اللغة والاتصال.



مطبوعة محاضرات في مبادئ ماركس لسانج معند اولماح - ابيدنة  
فالمخطط يستند إلى نموذج التواصل اللغوي الذي طوره ياكوبسون، والذي يُستخدم على نطاق واسع في تحليل النصوص والاتصال اللغوي.

أهم مبادئ هذه المدرسة:

1. تأسيس نظرية متكاملة في التحليل الفونولوجي:  
وضعت مدرسة براغ أسسًا راسخة لتحليل النظام الصوتي للغة، حيث تميزت بتطوير نظرية شاملة للفونولوجيا تقوم على دراسة الفونيمات والعلاقات الوظيفية بينها داخل النظام اللغوي.
  2. تحديد الوظيفة الجوهرية للغة بوصفها أداة اتصال:  
أكدت المدرسة أن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق التواصل بين الأفراد، واعتبرت أن دراسة اللغة ينبغي أن تنطلق من تحليل دورها الاتصالي في المجتمع.
  3. النظر إلى اللغة كظاهرة طبيعية ذات واقع مادي :  
اعتبرت المدرسة أن اللغة ليست مجرد نظام رمزي مجرد، بل هي ظاهرة طبيعية لها وجود مادي ملموس، وتتأثر بعوامل خارجية متعددة.
  4. الكشف عن تأثير العوامل العقلية والنفسية والاجتماعية في اللغة:  
دعت مدرسة براغ إلى دراسة اللغة في ارتباطها بالظواهر الذهنية والنفسية والاجتماعية، مؤكدة أن اللغة تتأثر بشكل مباشر بالمحيط الثقافي والاجتماعي والنفسي للمتكلمين.
- هذه المبادئ مجتمعة جعلت من مدرسة براغ اللسانية أحد التيارات الأكثر تأثيرًا في تطوير الدراسات اللغوية الحديثة، وأسهمت في توسيع آفاق البحث اللساني ليشمل البعد الوظيفي والاجتماعي للغة.



تأسست هذه الحلقة سنة 1931 حاملة مشعل اللسانيات البنوية، ومتبنية أفكارها مع قدر كبير من الدقة، ولكن انطلاقاً من اعتبارات منطقية. تتجلى مبادئ هذه المدرسة في أعمال اللغويين الدنماركيين برونالد Brondal (1887-1942) وهيلمسليف Hiemslev (1899-1965)، حيث أبديا اهتماماً واضحاً باستخدام أدوات المنطق الرمزي في تحليل الظواهر اللغوية. وعلى الرغم من انتمائهما للمدرسة البنوية، فقد أسهما في تأسيس ما يعرف باللسانيات الفلسفية المنطقية.<sup>1</sup>

### 1. أعمال فيجو برونالد البنوية:

ومن أبرز أعمال فيجو برونالد البنوية، نذكر:

- ✓ اكتشافه لأهمية استخدام التقابل في التحليل الصرفي والدلالي للظواهر اللسانية؛
- ✓ استطاع أن يجمع بين تأثيره بمبادئ دي سوسير من جهة وبين تعلقه القوي بالمنطق القديم والحديث من جهة ثانية؛
- ✓ أعاد إحياء دراسة العلاقة بين اللغة والفكر، وسعى إلى تعريف منطق اللغة من خلال التركيز على ملاحظة الأساليب التي تكشف عن المنطق اللغوي، وهدفه هو إبراز الحقائق اللغوية؛ لأنه يعتبرها مفاهيم أساسية بحيث يمكن تعميمها وتطبيقها على كل النظم الممكنة في اللغات.<sup>2</sup> وهكذا عرف برونالد الشخصية البارزة في هذه المدرسة، وكان من أوائل اللسانيين الذين حاولوا مقارنة اللغة باتباع مناهج المنطق الرمزي.

هذا عن فيجو برونالد، أما عن لويس هيلمسليف المنظر الرائد لمدرسة كوينهاجن اللسانية، فقد ركزت مساهمته اللسانية ضمن هذه الحلقة، على بعض النظريات والمفاهيم التي جمعها في توجه لساني ميز سمّاه الجلوسيمية، وتعدّ مفاهيمه اللسانية امتداداً مباشراً لحلقة كوينهاجن.

<sup>1</sup> جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 128.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 128.

2. المدرسة الجلوسيمية<sup>1</sup>

حرص الدانماركي لويس يلمسلاف\* صاحب النظرية البنوية التحليلية (الرياضيات اللغوية) على تأسيس نظرية علمية وصفية شمولية للظاهرة اللغوية، لا تنطلق من القاعدة التجريبية التي تمثلها المواد اللسانية كما هو الشأن في المنهج التجريبي الاستقرائي، وإنما تنطلق من مبادئ معرفية تفسيرية مهمتها أن تستجيب للوصف اللساني، لكنها مستمدة بشكل واضح من المنطق الرياضي، ومتعارضة كلياً مع تصورات المناهج التجريبية الاستقرائية، ومن هذه المبادئ:

## أولاً: مبدأ التجريبية

ويرتكز هذا المبدأ على ثلاثة معايير اللاتناقض، الشمولية، والتبسيط. ويذهب يلمسلاف إلى أن الدراسة العلمية الموضوعية لا تهتم إلا بهذه المعايير.

## ثانياً: مبدأ الإحكام والملاءمة

ورد مصطلح الإحكام في محاضرات دي سوسير. بمعنى الاعتباطية. ومصطلح الإحكام مرتبط بمصطلح الملاءمة؛ حيث يرى أن النظرية الناجحة من الناحية المنطقية يجب أن تخضع لمعيار الإحكام والاتساق التام، بحيث تكون النتائج المترتبة على أي قضية منطقياً متوافقة مع مقدماتها. ومع ذلك، قد تكون النظرية ذات مستوى عالٍ من المنطقية ولكنها عديمة الجدوى من الناحية العلمية. فإمكان عالم رياضيات على سبيل المثال، أن يبني نظاماً جبرياً أو حسابياً متماسكاً وشاملاً وبسيطاً، لكنه سيكون عديم الجدوى إذا لم يكن قابلاً للتطبيق على العلاقات التي تتبثق من المعطيات التجريبية. وكذلك الشأن بالنسبة للنظرية اللسانية؛ فإذا لم تكن منطقية، فلن يمكن تطبيقها على مدونات لغوية أخرى أو تقييمها بطريقة موضوعية. ومن جهة أخرى، لكي تكون النظرية فعالة، يجب أن تكون "ملائمة"، تكون النظرية ملائمة -برأي يلمسلاف- عندما تلبى مقدماتها شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية.<sup>2</sup>

\* في عام 1933 اشترك كل من يلمسلاف وأولدل Han Jorgen Uldall في تأسيس بحث مغاير لمدرسة براغ، وفي عام 1935 اقترح هذان الباحثان تسمية النظرية الجديدة التي كانا بصدد تقديمها في المؤتمر الدولي الثاني للعلوم الصوتية بعلم الفونيمات Phonematics بوصفها نظرية متميزة عن نظرية براغ الفونولوجية وأثناء المؤتمر الدولي الثالث للسانيات، الذي انعقد بكوينهاجن سنة 1936، كانت رغبة التمايز عن علماء مدرسة براغ في تأسيس الغلوسيماتيك. وبالفعل تم توزيع نص قصير على المؤتمرين بعنوان: "مختصر المخطط التمهيدي للغلوسيماتيك". وفي عام 1938 أسس يلمسلاف وفيغو برونندال Viggo Brondal مجلة Acta linguistica ملحقة بعنوان فرعي: "مجلة دولية للسانيات البنوية". وكان هذا العمل أول فعل رسمي لنشأة البنوية بوصفها اتجاهاً جديداً في أوروبا. ومنذ عام 1944، بدأت أعمال مدرسة كوينهاجن تتوالى على منوال أعمال الحلقة اللسانية لمدرسة براغ.

<sup>1</sup> - جورج موان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 128.

<sup>2</sup> - عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ط2. الدار العربي للكتاب، ص 225.



يعتقد بالمسليف أن هناك خمس سمات أساسية تقوم عليها البنية الأساسية لكل جملة، وهي كما يلي:

- ✓ تتألف اللغة من مضمون وتعبير.
- ✓ تتكون اللغة من تتابع Succession يشمل النص والنظام.
- ✓ يرتبط المضمون بالتعبير ارتباطاً وثيقاً أثناء عملية التواصل.
- ✓ هناك علاقات محددة ضمن التتابع والنظام.
- ✓ لا يوجد تطابق تام بين المضمون والتعبير. ولكن العلامات نفسها قابلة للتجزئة إلى مكونات ثانوية.<sup>1</sup>

وتتفرد هذه النظرية عن غيرها من النظريات اللسانية الأخرى بدرجة استثنائية من التجريد النظري، خاصة فيما يتعلق بالتعريف والتنظيم والتصنيف. وكما يقول: «إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يُمكن من فهم النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل، إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر النص الثابتة».<sup>2</sup> تهدف النظرية إلى تقديم منهج عملي لفهم النصوص من خلال وصف شامل ومنظم، وهي ليست مجرد مجموعة فرضيات، بل نظام متكامل من مقدمات منطقية وتعريفات دقيقة تساعد في تحليل جميع إمكانات تكوين النصوص.

والجلوسيمية هي مصطلح ابتكره بالمسليف، مأخوذ من الكلمة اليونانية "Glossa" التي تعني اللغة، للدلالة على توجه خاص في الدراسة اللسانية. أعلن بالمسليف عن هذا التوجه خلال مؤتمر حلقة كوبنهاجن الدولية لعلم اللغة في عام 1936.<sup>3</sup>

والملاحظ في هذه النظرية هو الميل الشديد تجاه صياغة مفردات جديدة واستعمال عبارات عتيقة بمعانٍ جديدة، فمصطلح "غلوسيماتيك (Glossématiques)" اشتق من الكلمة الإغريقية "glossa" التي تعني اللغة. تركز الغلوسيماتيك على دراسة "الغلوسيمات (glossèmes)"، وهي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة، وتنقسم بدورها إلى قسمين:

- وحدات التعبير، وتسمى "سوانم (Cenemes)"
  - وحدات المحتوى، وتدعى "مضامين (Pleremes)"
- وقد اشتق مصطلح Ceneme من الإغريقية Kenos بمعنى فارغ، ومصطلح Plereme من الإغريقية Pléros بمعنى مليء.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، ص ص 160 - 161.

<sup>2</sup> - ع/ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 159 - 160.

<sup>3</sup> - جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 128.



بالتالي، فإن الوحدات ذات المحتوى مثل "المورفيمات" في مدرسة براغ، أو "المونيمات" في مدرسة جنيف أصبحت تدعى بـ "المضامين" أو "المكونات الدلالية".<sup>1</sup>

كما استخدم مصطلح تعالقات Correlations للدلالة على العلاقات الاستبدالية، ومصطلح علاقات Relations للدلالة على العلاقات الركنية الألفية. ومصطلح وظيفة Fonction للدلالة على كل علاقة ألفية بين أي مفردتين. كما استعمل مصطلحي النمط Schema، والنص texte للدلالة على ثنائية اللغة والكلام.<sup>2</sup>

ويتميز بالمسليف بهذا التوجه بشكل خاص فقد اعتمد في عمله على ما ورد في محاضرات دي سوسير من مفاهيم انطلق منها ليضع أبحاثه ويستخلص نظريته الجلوسيمية التي يمكن اعتبارها تنظيراً آخر لنظرية دي سوسير. وفي هذا الشأن يقول جورج مونان: «لقد اعتبر بالمسليف أبحاثه على أنها استمرار ونضج أكثر دقة علمياً، لأفكار دي سوسير، ولقد اعتبر نفسه تلميذ سوسير الوحيد والحقيقي».<sup>3</sup>

وفي مقدمة المفاهيم التي اعتمد عليها بالمسليف نجد: ثنائية الصورة والمادة et Substance، وثنائية اللغة والكلام، ومفهوم التزامن وغيرها.

ولم يكتف بمجرد إعادة عرض ثنائيات دي سوسير وبشرحها، بل أضاف إليها ما ساهم فس إثرائها، وفصل في بسط مفاهيمها، ودقق في عرضها بما يراه مناسباً صياغة نظرية بنوية صارمة في اللسانيات الحديثة، وهذا ما يمكن ملاحظته ضمن أعماله البارزة على النحو الآتي:

1. وسع مبدأ سوسير القائل بأن التنظيم اللساني تنظيم شكلي باطني (صوري)، يعبر عن تماسك العلاقات داخل ذلك الكل اللساني الموحد؛ وذلك لأنه لا يكفي بمجرد الاعتقاد بهذا المبدأ بل يسعى إلى إمكان استخراج التنظيم اللساني من المادة التي ينتظم فيها، وبناءً عليه، تُعتبر البنية - من وجهة نظره - مستقلة وقابلة للفصل عن المادة التي تُبنى عليها. يمكن تصور البنية اللغوية كإطار مستقل يتسم بالثبات والاتساق، يتجاوز المحتوى الذي يتم تطبيقه عليه. فالبنية اللغوية تعكس نظاماً من العلاقات التي تنظم العناصر اللغوية، ويمكن تحليلها وفهمها بدون الحاجة إلى النظر في النصوص أو المحتويات المحددة التي تتواجد ضمنها.

1- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 160.

2- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 160.

3- جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 131.



هذا يعني أن البنية تظل متماسكة ومحددة حتى إذا تفرقت المواد اللغوية (مثل الكلمات أو الجمل) التي يتم تطبيق هذه البنية عليها. بمعنى آخر، تركز النظرية على فهم كيفية تنظيم العناصر اللغوية وفقاً لمبادئ محددة دون أن تكون مقيدة بالنصوص أو المحتويات الفعلية التي تنظمها هذه العبادى.

إذن ذهب يلمسليف إلى نفس ما ذهب إليه دي سوسير وهو أن اللغة شكل وليست مادة. وأن المادة ليس لها معنى في حد ذاتها. وأن المادة يمكن أن تكون صوتية أو مكتوبة أو إشارتية للدوال أو المدلولات. كما أعطى لثنائية الشكل والمادة أهمية كبيرة وأبعاد جديدة، إذ يرى بأن اللغة نظام من القيم. ومن هذا أسس يلمسليف لما يسمى باللسانيات المحايثة Immanent Linguistics مبنية على منهج استنباطي موضوعي. وفي هذا يقول جورج مونا مونا Mounin: « إن المبدأ السوسيري الأولي والأساسي - الذي يؤكد على تمييز العلوم اللسانية عن باقي الدراسات اللغوية، ويُعدُّ اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات - قد أصبح يُسمى في اصطلاح "يلمسليف" بمبدأ "المحايثة" L'Immanence، أي نقض "التسامي" transcendence».<sup>1</sup>

2. ميز يلمسليف بين مستوى التعبير (الدال) ومستوى المحتوى (المدلول) في البنية اللغوية، وأكد أن اللغة تتكون من هذين المستويين اللذين تجمعهما علاقة تدعى العلامة اللغوية *Signe linguistique*، وأن كل مستوى يخضع بدوره إلى ثنائية أخرى، وهي ثنائية الشكل والمادة، وتنتج عن هذه التفاعلات أربع عناصر أساسية:

➤ مادة المحتوى "الأفكار".

➤ شكل المحتوى "البنية التركيبية والمعجمية".

➤ شكل التعبير "الفونولوجيا".

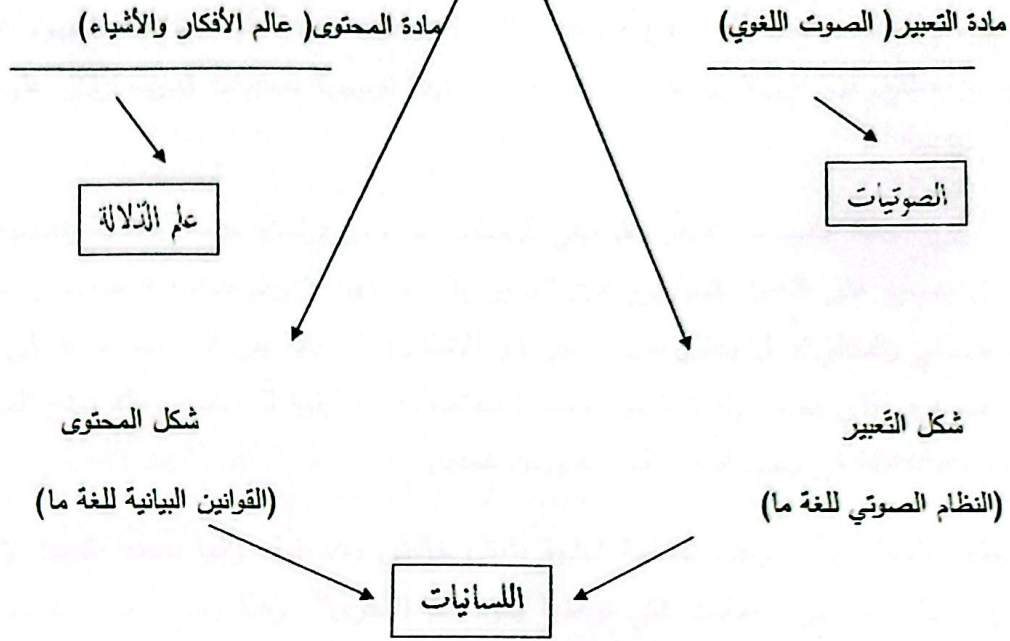
➤ مادة التعبير "الفونتيك".

ويقول يلمسليف في شأن هذا التمييز وأهميته: «والحقيقة أن هذا التمييز المزدوج - من حيث أشاعه دي سوسير، وتم تطويره ضمن مجموعة من فروع اللسانيات الحديثة - يُشكل النواة التي تنجذب، بقوة حولها - ضمن أبعاد متعددة جميع المناقشات المجراة حول المنهج والمبدأ... إن أي منهج لساني واضح أو غير واضح، يمكنه، بل ويجب عليه، أن يتحدد وفق علاقته بهذين التمييزين الرئيسيين».<sup>2</sup>

وقد كان هدف يلمسليف وراء ذلك هو الإشارة إلى الموضوع الأساس الذي ينبغي أن تدرسه اللسانيات هو الجانب الصوري (الشكلي) فيها، بينما يدعو إلى إقصاء الجانب المادي، كما يوضح الشكل التالي:

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 161 - 162.

<sup>2</sup> - Louis Hjelmslev, Essais linguistiques, ed de minuil, 1971, p45.



كان هدف بالمسليف هو تطوير نظرية صورية منطقية تتعارض مع النظرية الذهنية Mentaliste والنظرية السلوكية Behaviorisme. بناءً على ذلك، يعتبر بالمسليف أن الصوتيات وعلم الدلالة ليسا ضمن نطاق اللسانيات، إنما هما مجرد علمين مساعدين.

ويرى أن المحتوى والتعبير لهما قيمة واحدة، حيث يفترض كل منهما وجود الآخر ويرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالوظيفة العلامية. ومن ناحية أخرى، تفترض المادة وجود الشكل، ولكن الشكل لا يتطلب وجود المادة. وعلى هذا الأساس، تُعتبر مادة التعبير "أصواتاً خاماً"، في حين يُمثل شكل التعبير قوالب تركيبية مختلفة للمادة مثل الفونيمات والمورفيمات. بهذا، يتكون مستوى التعبير من الأصوات اللغوية أو الفونولوجية، بينما يتكون مستوى المحتوى من الأفكار والدلالة والنحو. يُحلل كل مستوى إلى مكوناته نهائية؛ على سبيل المثال، كلمة "قرس" تُحلل إلى /ف/، /ر/، /س/ على مستوى التعبير، وإلى "خيل"، "أنثى"، "مفردة" على مستوى المحتوى.

ولا وجود لأية صلة بين الحروف أو الأصوات بمفردها والعناصر الأولية للمحتوى. لا يمكن للباحث تحديد أن صوتين مختلفين يشكلان مادة لعنصرين مختلفين من عناصر التعبير في لغة معينة إلا إذا كان الاختلاف بين هذين الصوتين يؤدي إلى اختلاف في المعاني مثل: "كبير"، "خبير"، "تام"، "حام".



وكما ركز بلمسليف كثيرا على العلاقة المتبادلة ضمن التسلسل الكلامية ونماذج النحو. فهذه العلاقة هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي وتجعلها متميزة عن باقي اللغات الأخرى، أما الأصوات والحروف والمعاني لوحدها، ليست لها أية علاقة بالنظام.

3. يحدد بالمسليف البنية بأنها نسيج من المتعلقات Dépendances أو الوظائف بالمفهوم المطلقي الرياضي للمصطلح. فهو يرى كغيره من الوظيفيين أن المحاولة الرئيسية للسانيات البئوية ترتكز على دراسة الوظائف وأنواعها.<sup>1</sup>

وهنا يبرز اهتمام بالمسليف بالتحليل الوظيفي للوحدات ابتداء من دراستها دراسة علائقية ونظامية حافظ بشكل دقيق وصارم على التفريق السوسيري بين الصورة والمادة. فهو لا يهتم بدراسة الوحدات في مظهرها المادي (الصوتي والدلالي)، بل ينطلق من الصور (أو الأشكال) العلائقية بين الوحدات ساعيا إلى تطوير المفهوم السوسيري الذي يحدد الوحدة بكونها تملك ما تختلف به عن بقية الوحدات، وذلك بمنح المزيد من التجريد Abstraction في تحديد الوحدة اللسانية وبيان عملها.

4. يعتقد بالمسليف أن الوحدة اللسانية "سلبية بشكل خالص وعلائقية، وأنها تتحدد بكونها لا تستمد قيمتها من ذاتها... بل من العلاقات التي تربطها بالوحدات الأخرى"<sup>2</sup>. وهذا يعني أنها لا تستمد قيمتها ومعناها من ذاتها، بل من العلاقات التي تربطها بالوحدات الأخرى في النظام اللغوي. ولذلك فهو يدأب على دراسة الأصوات اللغوية من حيث هي أشكال وصور ويهملها من حيث هي مظاهر مادية<sup>3</sup>. يقول بالمسليف: ليس المهم هو الأصوات أو الخصائص الكتابية أو الدلالات، ولكن المهم هو علاقاتها المتبادلة ضمن سلسلة الخطاب (أي المحور التركيبي) وضمن المحور الاستبدالي للنحو. إن هذا النظام الجوهرية هو خاصيتها في مقابل اللغات الأخرى<sup>4</sup>.

والحقيقة أن الاعتماد على المنطق الرمزي لدى بالمسليف كان يمثل توجهها ابستموجيا جديداً، كان يطمح بإدخال اللسانيات البئوية في مرحلة جديدة هي أشبه ما تكون بإعادة البناء والتأسيس، وجديداً بإحيائه لبعض المفاهيم القديمة في المنطق والفلسفة.

<sup>1</sup> -Louis Hjelmslev, Essais linguistiques, p 79-80.

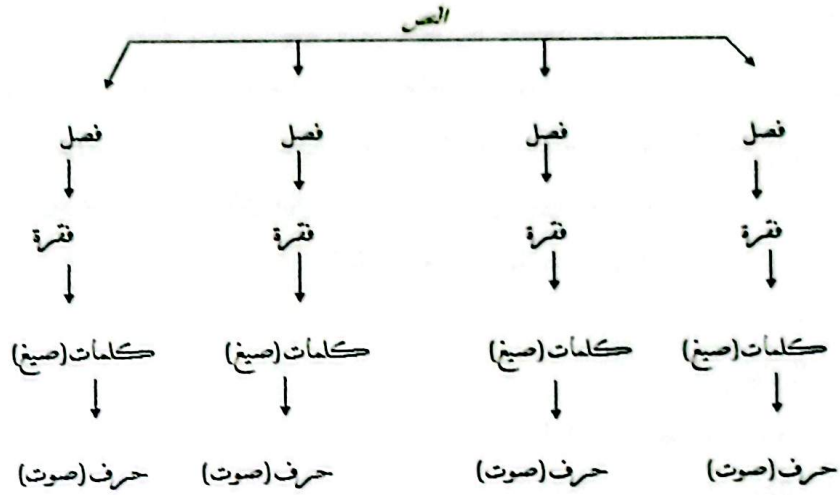
<sup>2</sup> -O. Ducrot et Todorov, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, p 37.

<sup>3</sup> -Ibid, p 38..

<sup>4</sup> - Louis Hjelmslev, Essais linguistiques, p 35.

وأهم شيء يراه بالمسلاف في اللغة، بنيتها الشكلية التي تنتظم في نسيج من العلاقات التي تربط عناصرها بعضها ببعض، وليست المادة التي تتكون من هذه العناصر. يبدأ المنهج الجلوسيماتي دائما بالوحدات الكبرى ثم الصغرى فالأصغر منها... إلخ.

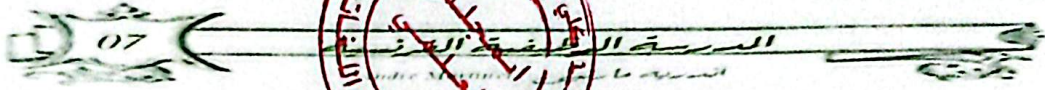
وهو منهج يتناول النص المكتوب والمنطوق ويقوم بتحليله تدريجيا إلى فصول، وفقرات، وجمل، ومفردات (غلوسيمات الوحدات النحوية الصغرى)، وحروف وأصوات، كما هو موضح في المخطط الآتي:



ولهذه النظرية الغريبة في المصطلحات، والالتزام بالمنهج التجريبي Epirisme في التحليل النظام اللغوي وهذا هو شأن سائر البنيويين، ومن جهة ثانية يحرص على إتباع المنهج الاستنتاجي M.déductive (ضده المنهج الاستقرائي) الذي يعتمد على اعتماد القوانين الجبرية ومفاهيم المنطق والرياضيات في شكلة التحليل اللغوي الوصفي. وهذه السمة جعلت البعض يرى بأن إقحام الجبر في الدرس اللساني يمثل جانب الضعف القوي في تطبيق نظرياتها بشكل عملي على جميع اللغات.

ولكن ذلك لم يمنع هذه النظرية من جمعها بين التحليل اللغوي التقليدي ومظاهر الدرس اللساني الحديث من مبالغتها في اعتماد المصطلحات الجبرية والرياضية، وهي لا تزال حتى الآن تتمتع بمكانة عالية يدل على ذلك بروز اللسانيات الرياضية أخيرا في أكثر من مبحث ودراسة. وعلى أية حال حاول هيلمسليف عصرنة الدرس اللساني باعتماد المنهج العلمي الرياضي<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص ص 168 - 169.



أندريه مارتيني (André Martinet) هو أحد أبرز علماء اللسانيات في القرن العشرين، ويُعد راند المدرسة اللسانية الوظيفية الفرنسية. وُلد عام 1908 في سان البان دي فيلارد بمنطقة السافوا الفرنسية، وتوفي عام 1999. وقد اعتمد في دراساته الصوتية الوظيفية على المبادئ التي أقّرها ترويتسكوي، وعلى يده تطوّرت اللسانيات الوظيفية في أوروبا وفي فرنسا خاصة، وقد أعطى الأولوية المطلقة في اللغة أثناء عملية التبليغ اللساني.



درس في الولايات المتحدة الأمريكية وأشرف على مجلة (ورد) ثم عاد إلى فرنسا سنة 1960 حيث شغل منصب أستاذ بالسوربون. وهو صاحب مؤلفات كثيرة في الصوتيات الوظيفية واللسانيات العامة من بينها:

- ✓ مبادئ في اللسانيات العامة الذي ترجم إلى عدد من اللغات؛
- ✓ اللسانيات الوظيفية؛
- ✓ علم التراكيب الوظيفي؛
- ✓ الاقتصاد في التغيرات الصوتية 1955؛
- ✓ وصف صوتي للكلام الفرنسي 1945.

بدأت بروز هذه المدرسة في ظل النزعة الفونولوجيا ضمن نشاط حلقة براغ اللسانية، ويمثل هذا الاتجاه- أو هذه المدرسة- مجموعة من اللسانيين يتقدمهم اللساني الفرنسي أندري مارتيني.

### 1. وظيفة اللغة عند مارتيني:

يرى أندري مارتيني أن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، هذه الوظيفة الإنسانية تؤدّيها اللغة بوصفها مؤسسة إنسانية على الرغم من اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، وهذا لا يعني أن مارتيني ينفي الوظائف الأخرى التي تؤدّيها اللغة. بل يقرّ بها إلا أنه يعتبرها ثانوية والوظيفة الجوهرية للغة تتمحور حول الإبلاغ، والتفاهم والاتصال بين أفراد المجتمع اللغوي.

إن اللغة في نظر مارتيني ليست مجرد انعكاس للأشياء كما هي في الواقع، بل هي عبارة عن بني منظمة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والمشاعر. من خلال هذه البني تتشكل الخبرة الإنسانية ومن ثم فإنّ تعلم لغة أجنبية ليس معناه وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة لدى المتكلم، بل هو اكتساب نظرة تحليلية مفارقة في إطار التواصل، بالتعرّف على البني اللغوية الجديدة التي يرى من خلالها الواقع بطريقة مختلفة عن لغته الأم.

تبدو لنا اللغة من خلال هذا تعريف مارتيني أنّها:



وسيلة إبلاغ لها خاصتان هامتان

✓ التعبير الصوتي؛

✓ التلفظ/ التقطيع المزدوج

وهاتان الخاصتان توجدان في كل اللغات، أما الخصائص الأخرى فتختلف من لغة إلى أخرى.

## 2. التقطيع المزدوج Double articulation

إن التقطيع المزدوج هو سمة البارزة التي تميز اللغة البشرية عن سائر الأنظمة الإبلاغية الأخرى. فالإنسان الناطق يعبر عن أفكاره ورغباته، واهتماماته بهدف إيصالها إلى الآخرين وقد يصدر عن الفرد في حالة التعبير عن تجربته، صحيحة معبرة للدلالة على الألم أو على الفرح، أو قد تصدر عنه حركة من الحركات، إلا أن هذا السلوك في التعبير لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي.

ومن هنا، تحتم تحليل التجربة الشخصية عن طريق نقلها في وحدات متلاحقة، معروفة لدى جميع أفراد المجتمع اللغوي. فالتقطيع المزدوج في نظرية مارتيني تعني: تنظيم اللسان البشري تنظيمًا خاصًا يتم بموجبه تجزئة التجربة الإنسانية إلى وحدات تقام على مستويين مختلفين هما مستوى التقطيع الأول ومستوى التقطيع الثاني.

إن اللغة الطبيعية قابلة للتحليل إلى مستويين هما:

- مستوى اللفاظ Les monèmes، وهي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات أصغر عديمة الدلالة.
- مستوى الفونيمات Les phonèmes، وهي الوحدات الصوتية الدنيا التي ليست لها دلالة في ذاتها وقادرة على تغير المعنى.

والتقطيع المزدوج خاصة تميز اللغة البشرية عن جميع أنظمة الإبلاغ غير اللغوية وعن اللغات الطبيعية: فالرسالة في هذه اللغات وفي تلك الأنظمة تفهم فهما جمليًا ولا يمكن أن تحلل تحليلًا يعتمد على الوحدات.

صحيح أننا نجد في بعض النظم غير اللغوية أو في وسائل الحيوان التواصلية ما يمكن أن ينطبق عليه مبدأ التقطيع الأول.

شعار الميزان = العدل

رقصات النحل = منها ما يتعلق بالمسافات القريبة أو البعيدة، ومنها ما يتعلق بالاتجاه بالنسبة للشمس ومنها ما يتعلق بمادة الغنيمية التي تم العثور عليها. ولكن هذا التقطيع الأول غير قابل للتقطيع الثاني، فلا يمكن تحليل الرسالة إلى وحداتها الدالة الدنيا وإلى وحداتها التمييزية الدنيا.



ومن ظواهر اللغة ما لا يخضع لمبدأ التقطيع (المزدوج؛ وذلك مثل: الاستفهام الذي تؤديه النبرة الصوتية للتعبير عن الاستفهام بدون توظيف علامات استفهام (أ-هل) وإنما يتم بواسطة نطقك العبارة نطقاً خصوصياً.

فالنبرة الصوتية إذن هي علامة لسانية مدلولها الاستفهام، ودالها صوتي له صورة سمعية وليس له شكل مادي مكتوب، ولذلك لا يمكن أن يخضع لتقطيع المزدوج، فهو لا يتجزأ، ولا محل له في سلسلة الكلام.

والتقطيع المزدوج أهم مبدأ من مبادئ الاقتصاد اللغوي؛ حيث نستطيع بفضل عدد محدود من الفونيمات أن ننشئ عدداً لا محدوداً من الوحدات الدالة ومن الجمل الجديدة.

مبدأ التفاضل = التميز = التفريق

يعود الفضل في إرساء هذا المبدأ دي سوسير، ليس في اللغة إلا الاختلافات.

إن كل عنصر من عناصر اللغة يتحدد قيمته بتقابلته مع العناصر الأخرى. معنى ذلك أن العلامة اللسانية لا تعرف إيجاباً وإنما تعرف سلباً. فخاصيتها أن تمثل ما لا تمثله بقية العلامات الأخرى يقول دي سوسير: الأمور التي بها يتميز دليل ما من الدلائل اللغوية،... قوامه الوحيد لا غير، فالاختلاف هو الذي تتحدد به خاصية الدليل وقيمته ووحدته. فلا وجود للعلامة اللسانية خارج هذا العالم الذي تحكمه مبدأ التفاضل، فوجودها رهين وجود العلامات الأخرى فعلاقتها مع بقية علامات الجهاز الأخرى هي العلة الأولى لهذا الوجود.

والتميز خاصة من أهم خواص اللسان البشري، وهو يقابل المستمر.

المستمر = الممتد

فالوحدة المتميزة هي التي يمكن فصلها وعزلها عن غيرها من الوحدات. مثال: نطق على ورقة = أو تمثل وحدات هندسية متميزة ولكن الخط المستقيم يمثل وحدة متصلة إذ لا يمكن أن تفصل وتغزل عن نقط الخط المستقيم بعضها عن بعض. والزمن لا يكون إلا عنصراً متميزاً وذلك قابل للعزل، بل إن قيمته في تميزه.

وفي اللسانيات تعد وحدات اللغة عناصر متميزة، ففونيمات اللغة وحدات متميزة؛ إذ أن إبدال أحدهما بغيره ينشأ عنه اختلاف في المعنى.

(الفونيم = الصوتم)

ع/غ: عم / غم



ومورفيمات اللّغة أيضا تمثل وحدات متميزة، فتبدل (نجح) بـ (خاب) في الجملة الآتية: نجح الطالب.

تقود إلى تغيير معنى الجملة.

### 3. مبدأ الاقتصاد اللغوي:

يشكل مبدأ الاقتصاد اللغوي عند أندريه مارتيني أحد الركائز الأساسية في فهم تطور اللغة ووظيفتها التواصلية. يرتكز هذا المبدأ على فكرة أن اللغة تسعى لتحقيق أقصى قدر من التعبير بأقل جهد ممكن، من خلال تنظيم وحداتها الصوتية والمعنوية بطريقة تسمح بإنتاج عدد لا محدود من المعاني باستخدام موارد محدودة. ويُعد التقطيع المزدوج للغة، الذي يميز بين أصغر الوحدات الصوتية التي لا تحمل معنى والوحدات الأكبر ذات الدلالة، من أبرز آليات تحقيق هذا الاقتصاد، مما يعكس توازناً دقيقاً بين الحاجة إلى الوضوح والتواصل الفعال وبين الميل إلى التبسيط وتقليل الجهد في الإنتاج اللغوي.

### 4. الدراسة التركيبية:

تمكن أندري مارتيني من تطوير التحليل التركيبي للجملة بناءً على نتائج التي توصبت إليها الدراسة الفونولوجيا، حيث وضع الأسس الأولية لهذا التحليل الذي يركز على وظيفة العناصر اللغوية في التركيب وكيفية ترتيبها.

لاحظ أن التحليل التركيبي في اللسانيات قد تخطى، بصفة عامة، عن مصطلح "كلمة" لأنه قد يتسبب في لبس المفاهيم؛ حيث يُستخدم للإشارة إلى وحدات دنيا تماماً مثل "من"، "على"، "هل"، وأيضاً إلى وحدات أكبر مثل "خرج"، "أخرج"، حيث تتضمن هذه الأخيرة معاني إضافية إلى المعنى الأساسي. لذلك، أصبح من الضروري استخدام مصطلحات أكثر دقة. وقد اعتمدت النظرية الوظيفية مصطلح "المونيم" للإشارة إلى الوحدة الدنيا في اللغة. كما يرى أن العلاقة بين المونيمات في النظام اللساني تظهر في حالات متعددة، هي:<sup>1</sup>

#### 1. اللفظة المستقلة Monéme autonome:

هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دليلاً على وظيفتها، وتتمثل في الظروف مثل: "اليوم"، "غداً"، "أحياناً"، حيث تستند العلاقة التي تربط هذه الوحدات بغيرها من الألفاظ إلى دلالتها الذاتية، وليس على موقعها في التركيب أو التزامها بترتيب معين. على سبيل المثال: "سافر المعلم مساءً"، حيث يمكن استخدام كلمة "مساءً" في مواقع مختلفة داخل الجملة، مثل:

<sup>1</sup> - احمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 113.



- مساءً سافر المعلم.
- سافر مساءً المعلم.

## 2. اللفظة الوظيفية Monéme fonctionnel

هي تلك التي لا تحمل معنى مستقلاً بذاتها، بل تعمل على تحديد وظيفة عناصر أخرى في الجملة. يمكن لهذه اللفظة أن تستخدم بشكل مستقل في سياق لغوي معين، مثل: حروف الجر وأدوات النصب والجرم في اللغة العربية. على سبيل المثال، في الجملة "ذهب التلميذ إلى المدرسة"، نجد أن "إلى" هي لفظة وظيفية، ليس لها معنى مستقل بذاتها، لكنها تمنح الاسم الذي يأتي بعدها -المدرسة- وظيفة معينة، حيث يصبح اسماً مجروراً.

## 3. اللفظة التابعة Monéme dépendant

هي اللفظة التي تكون مرتبطة بلفظة وظيفية تحدد وظيفتها النحوية، مثل: الاسم المجرور الذي يأتي بعد حرف الجر يعتبر لفظة تابعة مقيدة؛ حيث تعتمد وظيفتها على موقعها في الجملة. في المثال السابق، "المدرسة" تعتبر لفظة تابعة مرتبطة بحرف الجر "إلى"، وتحديد وظيفتها يعتمد على موقعها. إذا تغير موقعها في الجملة، قد تتغير وظيفتها النحوية. مثالها: أعجبتني كتاب الكاتب، فوحدة "الكاتب" هي لفظة تابعة تأتي مضافاً إليه وهي لفظة مقيدة بالموقع؛ حيث تعتمد وظيفتها على موقعها بعد كلمة "كتاب".

## 4. العبارة المستقلة Syntagme autonome

تتألف من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، وتحدد وظيفتها النحوية من خلال التركيب الكامل للعناصر وليس من خلال جزء واحد منها فقط. ومنها على سبيل الذكر: الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه والنعت والمنعوت ومثالها: سافرتُ برفقة عائلتي إلى الشاطئ. فعبارة "برفقة عائلتي" تدل على المعية، ولا يمكن فهم معناها بشكل كامل من خلال كلمة واحدة من العبارة، بل من خلال العلاقة بين العنصرين معاً، ويجوز تغيير موقعها في الجملة دون أن يؤثر ذلك على وظيفتها.

## 5. المركب الإسنادي

يُعتبر المركب الإسنادي عند مارتيني النواة الوظيفية للسلسلة الكلامية التي تُبنى عليها باقي الوحدات اللغوية، لتكوين المعنى الكامل في الجملة.

تحتوي هذه الجملة: تنتصر اليوم على العدو. على لفظة مستقلة (اليوم)، وعبارة مستقلة (على العدو) ولفظة (تنتصر) مكتفية بذاتها قادرة على إنشاء رسالة دون أي إضافات أو إحقاقات، ومن ثمة فهي تسمى المركب الإسنادي، وكل ما يضاف لها يسمى فضلة أو إحقاقاً؛ لأنّ الكلام يستقيم بدونها من الناحية الوظيفية ولا يغير العلاقات بين العناصر السابقة ولهذا وظيفتها غير أساسية. وإذا تعلق تعلقاً مباشراً بالمركب الإسنادي فهي تؤدي وظيفة أولية، أما إذا تعلق تعلقاً غير مباشر به فهي تؤدي وظيفة غير أولية. ومثال

ذلك: "استرى الأستاذ كتاباً قيماً"، حيث تُعد كلمة "كتاباً" مفعولاً به مرتبطاً بشكل مباشر بالمركب الإسنادي، يؤدي وظيفة أساسية. أما لفظه "قيماً" نعت، يرتبط بالمركب الإسنادي بشكل غير مباشر بالمركب الإسنادي عن طريق المفعول به، وبالتالي تكون وظيفتها ثانوية.

ميز ماريتيني بين نوعين من الإلحاق: (Expansion)

النوع الأول: الإلحاق بالعطف (Coordination)

وهو إلحاق لا يرتبط بوظيفة نحوية تابعة للمركب الإسنادي، بل يكون تركيباً مستقلاً أو إضافة غير تابعة تؤدي إلى توسيع المعنى أو توضيحه دون أن تغير الوظيفة الأساسية للمركب. قد يشمل ظرفاً أو عبارات توضيحية تُضاف للسياق دون أن تؤثر على النواة الإسنادية.

في هذا النوع، تظل بنية الجملة الأساسية (النواة) كما هي، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه). على سبيل المثال: حضر العظماء والأشراف، إذا حذفنا العنصر الأولي "العظماء"، تبقى الجملة "حضر الأشراف" صحيحة ومطابقة للجملة الأصلية.

. في الجملة الآتية: "سافر الطالبُ إلى المدينة صباحاً".

هنا:

- المركب الإسنادي: "سافر الطالبُ"
- الإلحاق المستقل: "إلى المدينة" و"صباحاً" (ظرفاً مكان وزمان يضيفان معلومات توضيحية مستقلة عن التركيب الإسنادي).

الإلحاق المستقل يوسع المعنى بإضافات جانبية دون التأثير على النواة الإسنادية.

النوع الثاني: الإلحاق بالتبعية أو التعلق (Subordination)

يشمل هذا النوع الإلحاقات التي ترتبط بالمركب الإسنادي بوظائف نحوية مختلفة مثل النعوت، المضاف إليه، والمفعول به. هذه الإلحاقات تضيف تفاصيل أو توضيحات لكنها تعتمد على الوحدة الأساسية ولا تغير العلاقات الوظيفية بينها.

في هذا النوع، يكون للملحق وظيفة مختلفة عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع). مثلاً، في الجملة: كافأه بجائزة كبيرة من الكتب، لا يمكن حذف العنصر الأولي "جائزة" لأن وظيفة النعت "كبيرة" لا تستطيع أن تقوم بوظيفة "جائزة" بنفس الطريقة.



في الجملة الآتية: اشتر كتابًا نافعا.

- هنا التركيب الإسنادي هو: "اشتر كتابًا". والمسند: اشتر، والمسند إليه: كتابًا.
- الإلحاق التابع هو النعت "نافعا"، الذي يتبع كلمة "كتابًا" ويضيف لها وصفاً، ولا يمكن أن يقف وحده بل يعتمد على وجود "كتابًا" ليحقق وظيفته.

هذا النعت هو إلحاق تابع لأنه مرتبط بوظيفة نحوية محددة (وصف المفعول به) ويعتمد على الوحدة الأساسية في التركيب الإسنادي.

في الجملة: قرأ الطالب الكتاب المفيد.

نلاحظ هنا:

- ✓ المركب الإسنادي: قرأ الطالب الكتاب.
  - ✓ الإلحاق التابع: المفيد (نعت تابع لكلمة "الكتاب")، فهو إلحاق مرتبط بوظيفة نحوية تابعة داخل المركب الإسنادي.
- يضيف الإلحاق التابع تفاصيل نحوية مرتبطة بالمركب الإسنادي.

يعتبر مارتنيني أن مفهوم الإلحاق يتضمن وظائف مختلفة مثل النعت، والمضاف إليه، والمفعول، والمعطوف. وفقاً للتحليل الوظيفي للبنى التركيبية، يُعرّف الجملة على أنها كلّ تركيب يتم فيه ربط العناصر بركن إسنادي واحد أو متعدّد عن طريق الإلحاق.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ط2. الإمارات العربية المتحدة: 2013، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية ص114.



فرق بين البنية والنظام، محملاً إياهما دلالة مختلفة عما هو موجود عند غيره، فالبنية تظهر فيها العلاقات الموجودة على مستوى التراكيب المتتابة، أما النظام فتظهر فيه العلاقات الموجودة على مستوى الاستبدال<sup>1</sup>، فالبنية تعنى بالتتابع والترتيب الداخلي للعناصر اللغوية، بينما النظام يعنى بالعلاقات التي تسمح باستبدال عنصر بآخر ضمن شبكة من العلاقات المتبادلة، مما يحدد قيمة كل عنصر داخل اللغة. اللغة عند سوسير هي نظام من علامات مترابطة، حيث لا قيمة لأي عنصر إلا من خلال علاقته بالعناصر الأخرى داخل هذا النظام، والبنية هي الشكل الذي تتخذه هذه العلاقات على مستوى التراكيب المتتابة.

والى جانب هذه العلاقات الداخلية، ذكر نوعاً آخر من العلاقات تربط النص أو أحد عناصره بالمقام، سماها العلاقات الموقفية<sup>2</sup>. هذه العلاقات تتجاوز العلاقات الداخلية بين عناصر النص (كالعلاقات النحوية والدلالية داخل الجملة أو النص) لتأخذ بعين الاعتبار:

- الموقف أو السياق الاجتماعي والثقافي الذي يُستخدم فيه النص، أي الظروف الخارجية التي تؤثر في فهم النص وتفسيره.
  - كيف يرتبط النص بالمقام أو الظرف الذي يُقال فيه، مما يجعل النص ذا صلة مباشرة بالموقف الحالي أو بمواقف يمكن استرجاعها.
  - أهمية هذه العلاقات في تحقيق التواصل الفعال، لأن المعنى لا يتحدد فقط بالعلاقات الداخلية بين الكلمات والجملة، بل أيضاً بعلاقة النص بالموقف الذي يُستخدم فيه.
- بالتالي، العلاقات الموقفية تعني الربط بين النص وظروف إنتاجه الاجتماعية، الثقافية، النفسية، والزمانية وهي ضرورية لفهم المعنى الكامل للنص وتفسيره ضمن سياقه الواقعي.
- يقوم النحو النسقي أو القواعد النظامية كما يسميها بعضهم الذي أرسى دعائمه فيما بعد هاليداي تلميذ فيرث، على ثلاثة مفاهيم أساس:

- ✓ مفهوم الوظيفة؛
- ✓ مفهوم النسق؛
- ✓ مفهوم البنية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إبستيمولوجية، ص 135.

<sup>2</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 175.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، الرباط: 1989، منشورات عكاظ، ص 111.

أ. مفهوم الوظيفة *Function*: يعتمد هذا المفهوم على أن كل عنصري في الجملة يؤدي وظيفة محددة تساعد في توصيل المعنى. وفقاً لهاليداي، لا يُنظر إلى العناصر اللغوية بمعزل عن السياق، بل تُدرس بناءً على وظائفها في التواصل.

وتقوم الوظائف الأساسية للغة حسب هاليداي <sup>هاليداي</sup> بوظائف أساسية هي كالآتي<sup>1</sup>:

1. الوظيفة التمثيلية: تضطلع اللغة بوظيفة تمثيلية للواقع، سواء كان هذا الواقع ممتثلاً في الواقع الخارجي، أي العالم الفيزيقي المادي، أو كان هذا الواقع ممتثلاً في الواقع النفسي للمتكلم.
2. الوظيفة التعاقبية: وهي الوظيفة التي تعكس من جهة، الأدوار التي تقوم بين أفراد جماعة لغوية ما، أي تلك الوظيفة التي تعبر عن الدور الذي يتخذه المتكلم مع مستمعه أو مخاطبه؛ كان يقوم بدور السائل أو الأمر أو المخبر... في موقف تبليغي معين، وتعكس من جهة أخرى، موقف المتكلم أو المخاطب من فحوى الخطاب؛ كأن يتخذ موقف المتيقن أو المشكك أو المحتمل... من المعلومات المتبادلة بينهما.
3. الوظيفة النصية: تؤدي اللغة وظيفة نصية باعتبارها تمكن المتكلم/المخاطب من تنظيم الخطاب وفقاً لمقتضيات المواقف التبليغية، فتتقل الخطاب من مجموعة من العناصر إلى نص متماسك متنسق.

تشكل هذه الوظائف الثلاث البنية الأساسية للنحو النسقي عند هاليداي، وتساعد على فهم اللغة بوصفها أداة متكاملة تخدم التعبير عن الأفكار، والتفاعل الاجتماعي، وتنظيم النص.

ب. مفهوم النسق *System*: يشير إلى مجموعة الخيارات التي يتيحها النظام اللغوي للتعبير عن المعاني المختلفة وكل اختيار يتحدد حسب الغرض الوظيفي الذي يخدمه داخل السياق اللغوي. مما يتيح للمتحدثين إمكانية اختيار الأسلوب أو التعبير الذي يناسب السياق والمقام.

ويتكون النسق العام للغة من ثلاثة أنساق، تعكس كل منها وظيفة من الوظائف الأساسية الثلاث للغة:

1. نسق التعدية *Transitivity*: يرتبط بالوظيفة التمثيلية أو الأيديولوجية، حيث يساعد في التعبير عن الأحداث (مفاهيم دلالية) والعلاقات بين الكيانات في العالم، ويشمل الخيارات المتعلقة بالأفعال والفاعلين، والمفعولات، وغيرها من عناصر الحدث، و"ظروف" الحدث، فالمشاركين الأساسيين في الحدث هما الذات المحدثة للحدث "المنفذ" والذات المتأثرة بالحدث "المتقبل"، وهناك الذوات التي تقوم بدور ثانوي بالنسبة للحدث، كظرف "الزمان" أو "المكان" أو "الأداة"... إلخ فجملة: فتح اللص السيارة البارحة بالسكين. تتضمن بالنظر إلى نسق التعدية حدثاً يمثله الفعل (فتح)، ومنفذ للحدث هو (الاص)

1- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 111.

ومتقبلاً للحدث هي (السيارة)، وظرفاً يدل على الزمرك الذي جرت فيه الحادثة (البارحة)، وأداة أو وسيلة تمت بها الحادثة هو (السكين).<sup>1</sup>

2. نسق الصيغة *Mood*: يطابق الوظيفة الفعلية، ويعني التنظيم والتفاعل الاجتماعي بين المتحدث والمستمع، وتحديد المواقف. ويشمل هذا النسق خيارات مثل الأساليب (كالأمر، والنهي، والاستفهام) والطرق التي يعبر بها المتحدث عن موقفه أو رأيه. وتتألف الجملة، عند تحليلها وفق نسق الصيغة، من ثلاثة عناصر أساسية هي "القضية" و"الصيغة" و"الجهة". يمكن أن تأتي الصيغة إما في شكل "تدليل" أو "أمر"، وفي كلا الحالتين يمكن أن تكون صيغة الإثبات أو صيغة النفي.

بالنسبة للقضية، فهي تتكون من "محمول" و"فاعل"، إلى جانب الفضلات والتوابع. وتتوافق هذه المكونات بشكل عام مع العناصر التالية: الحدث (المحمول)، المنفذ (الفاعل)، المتقبل (الذي يتلقى الفعل)، والظروف (التي توضح سياق الحدث).

3. نسق المحور *Theme/Rheme*: يطابق الوظيفة النصية، ويختص بتنظيم المعلومات داخل الجملة والنص، من خلال توزيع العناصر بطريقة تجعل النص متماسكاً ومنسجماً. يعني هذا النسق بخيارات تقديم المعلومات وترتيب الأفكار لضمان الوضوح والاتساق في النص.

يُعتبر نسق المحور في سياق الخطاب أو الجملة جزءاً مهماً في تحليل النصوص، حيث يُنظر إلى الجملة أو الخطاب كنص متكامل، يتألف من سلسلة من العناصر أو الجمل المنظمة بطريقة تتناسب مع الموقف التواصلية الذي يتم فيه؛ حيث يتضمنان محورا دالا على محط الحديث (الشخص أو الأشخاص المتحدث عنهم)، ومكونا أو مكونات التعليق دالة على الحديث نفسه، كما يتضمنان بالنظر إلى الحمولة الإخبارية التي يحملانها، مكونا (أو مكونات) "معطى" دالا على معلومة (أو معلومات) الممكن استمدادها من السياق اللغوي أو الموقف، ومكونا (أو مكونات) "جديدا" دالا على المعلومة (أو المعلومات) التي لا يمكن استمدادها من السياق.

يعمل مفهوم النسق على ربط الأبعاد المختلفة للتعبير اللغوي، بما يعكس رؤية شاملة لوظائف اللغة واستخداماتها في مختلف السياقات.

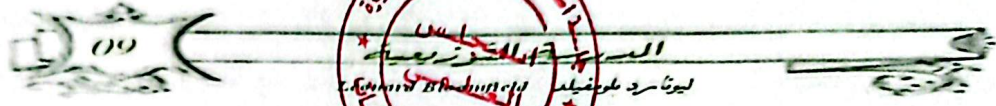
ج. مفهوم البنية *Structure*: يهتم هذا المفهوم بكيفية بناء التراكيب اللغوية بترتيب يساهم في وضوح المعنى وتماسك النص، حيث تترابط الكلمات والجمل وفق قواعد معينة، لتشكل كلاً مترابطاً. وتبعاً للمفهومين السابقين الوظيفة والنسق يمكن إجمال تصور بنية النحو النسقي، حسب "هاليداي" على النحو الآتي:

<sup>1</sup> - يحي بعبطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003، ص 80.



يتضمن السلوك الاجتماعي مجموعة من الأنشطة اللغوية، هذه الأنشطة تحقق اعتمادا على وظيفة التمثيل للواقع، ووظيفة التعلق بين المشاركين في نفس النشاط اللغوي، ووظيفة تنظيم الخطاب حسب مقتضيات مقامات التواصل. ويتألف النحو من ثلاثة أساق تحس أو تبني تلك الوظائف.

وهكذا، يعتمد النحو النسقي على دراسة اللغة بوصفها منظومة من العلاقات المتكاملة، حيث تكمن أهمية هذه المفاهيم الثلاثة في تفسير كيفية تحقيق التواصل من خلال التركيب والتوظيف المتناسق للغة في سياقات مختلفة.



ليونارد بلومفيلد (1887-1949) هو عالم لغوي أمريكي يُعتبر مؤسس المدرسة التوزيعية في علم اللغة، والتي ظهرت في الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن العشرين. كان بلومفيلد من أبرز رواد البنيوية الأمريكية، حيث طور منهجًا يعتمد على دراسة اللغة من خلال تحليل البنية الظاهرة للغة، مع التركيز على توزيع الوحدات اللغوية في السياقات المختلفة، بعيدًا عن المعنى أو الدلالة.



اتخذت الدراسة اللغوية في الولايات المتحدة الأمريكية طابعًا مميزًا يختلف عن النشاط اللغوي الأوروبي، ويتجلى ذلك بوضوح في أعمال ليونارد بلومفيلد، الذي نشر عام 1933 كتابه الشهير (اللغة) Language. يمثل هذا الكتاب حجر الزاوية في تأسيس الدراسة اللغوية المنهجية في أمريكا، حيث وضع أساسًا متينة للغويات البنيوية والوصفية، وبرزت منهجيات التوزيع كأحد أبرز سمات هذا الاتجاه.

لقد حظي هذا الكتاب بأهمية بالغة بين المختصين، حتى أطلق عليه لقب (إنجيل اللسانيات الأمريكية) لما احتواه من مبادئ وأفكار منهجية شكلت قاعدة صلبة لتطوير علم اللغة في النصف الأول من القرن العشرين. كما أن بلومفيلد في هذا العمل لم يكتفِ بوصف اللغة كنظام من الأصوات والكلمات، بل أكد على ضرورة دراسة اللغة بوصفها سلوكًا بشريًا قائمًا على المثير والاستجابة، مما جعله يتبنى المنهج السلوكي في التحليل اللغوي، ويدعو إلى التركيز على اللغة المحكية والظواهر القابلة للملاحظة، مع إبعاد الدراسة عن الجوانب المعنوية غير القابلة للرصد العلمي.

بفضل هذا المنهج، أسهم بلومفيلد في تحويل اللسانيات الأمريكية إلى علم موضوعي يعتمد على الوصف الدقيق للبيانات اللغوية<sup>1</sup>، مما مهد الطريق لاحقًا لظهور مدارس لغوية جديدة مثل المدرسة التوليدية التي جاءت كرد فعل على المدرسة التوزيعية التي أسسها بلومفيلد.

يُعتبر كل من إدوارد سابير Edward Sapir وليونارد بلومفيلد من الشخصيات المحورية التي أسست المدرسة الأمريكية في علم اللغة. رغم أن سابير كان له دور مهم في تطور هذا الاتجاه، إلا أن بلومفيلد كان الأكثر تأثيرًا في نشر أفكار المدرسة الأمريكية البنيوية، حيث قدم تصورًا منهجيًا صارمًا للغة من خلال كتابه الشهير «اللغة» (1933)، الذي يُعد الركيزة الأساسية في اللسانيات الوصفية والتوزيعية في أمريكا.

<sup>1</sup> - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 226.

لقد ساهم بلومفيلد في تحويل الدراسة اللغوية إلى علم موضوعي قائم على الملاحظة الدقيقة للظواهر اللغوية، مستنداً إلى المنهج السلوكي الذي يعتبر اللغة سلوكاً بشرياً يتفاعل مع المثيرات، وهو ما مكّنه من تأسيس منهج تحليلي يعتمد على توزيع الوحدات اللغوية في سياقاتها المختلفة. هذا المنهج كان له أثر بالغ في تشكيل أجيال من اللغويين الأمريكيين، وأرسى قواعد البنيوية الأمريكية التي تميزت عن البنيوية الأوروبية.

أما سابير، فقد ركز أكثر على الجانب الاجتماعي والثقافي للغة، معتبراً إياها جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإنسانية، وموضحاً أن اللغة ليست مجرد نظام رموز بل هي تعبير عن التجربة الإنسانية والتاريخية. وبذلك، شكّل الاثنان معاً الأساس المتين للمدرسة الأمريكية التي جمعت بين الوصف الدقيق والاهتمام بالسياق الاجتماعي للغة.

ولعلّ من أبرز مظاهر الاختلاف بين البنيويتين اختلافهما في ظروف المنشأ ومنطلقات التأسيس، فإذا كانت اللسانيات الأوروبية قد نشأت في ظلّ الاهتمام بالمنهج الوصفي التزامني الذي انتبه إلى أهميته دي سوسير أثناء نقده لمنهج الدراسة التاريخية وتحت تأثير الحاجة إلى منحى إبستمولوجي ومنهجي جديد لتطوير الدرس اللغوي وترقيته، وتتحدد البنيوية الأمريكية في الحقيقة بعاملين:

1. بهدفها العملي استجابة لتوجهات انثربولوجيا تسعى في ظلّ شروط ومعطيات البحث العلمي البراغماتي إلى ضرورة دراسة اللغات الهندية الأمريكية لغرض التعرف على البنية الفكرية والنفسية للهنود الحمر وثقافتهم التي لم تبحث وتدوّن آنذاك،
2. وبالبيدييات العلمية السلوكية.

بعد أن استلهم بلومفيلد المعطيات النظرية لعلم النفس السلوكي، الذي كان سائداً في مختلف مجالات الفكر الإنساني آنذاك، وطبقها على المنهج الوصفي اللساني، مما أدى إلى نشوء نظرية لغوية متكاملة تعتمد على مفهوم الوظيفة *Fonction*. ومع ذلك، في البداية، تم استخدام مصطلح "الوظيفة" بشكل غير دقيق حيث أفرغ من محتواه العلمي الأصلي. إذ كان المقصود بوصف عنصر لغوي بأنه "وظيفي" الإشارة إلى موقعه بين العناصر المحيطة به، أو توزيعه في السياق الكلامي. لذلك، قام سيوادش (Morris Swadesh) باستبدال هذا المصطلح بكلمة "توزيع" (Distribution)، مما أدى إلى ظهور هذا الاتجاه الجديد المعروف بالتوزيعية (Distributionnalisme/Distributionalism)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، ع2، 1972، ص 57.

منهج الدارسي:

يعتبر بلومفيلد صاحب أول نمط للبنوية التوزيعية، وأول من طبق في ميدان اللسانيات، فرضيات السلوكيين. «وذهب إلى أن اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي وقد كان متأثراً في منحاها هذا بواطسون مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس»<sup>1</sup>. حيث اعتبر اللغة نتاجاً آلياً واستجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر، وعلى هذا الأساس حاول تفسير الحدث الكلامي Speech act من منظور سلوكي بحت رافضاً بذلك الدراسة العقلية التي كان هو بالذات من أنصارها.

أطلق بلومفيلد على المنهج الذي اعتمده في دراسة اللغة اسم "المنهج المادي (Materialistic) "أو الآلي (Mechanistic) "، وهو منهج يفسر السلوك البشري من خلال علاقة المثير (Stimulus) والاستجابة (Response)، مشابهاً في ذلك لما تقوم به العلوم الفيزيائية والكيميائية في تفسيرها للظواهر اعتماداً على تتابع العلة والأثر (cause-and-effect sequences)، وقد رفض بلومفيلد المنهج العقلي (Mentalism) الذي كان شائعاً في عصره، بحجة أنه لا يعتمد في تفسير الظواهر على المبادئ العلمية التجريبية.<sup>2</sup> بل يرجع السلوك البشري إلى عوامل غير فيزيائية كالروح، والعقل، والإرادة التي تعدّ غير قابلة للملاحظة والوصف العلمي، ولذلك لا يمكن التنبؤ بالسلوك البشري بما في ذلك الحدث الكلامي.

وقد استعان بلومفيلد بقصة جاك (Jack) وجيل (Jill) الشهيرة لتوضيح الموقف الذي تُستخدم فيه اللغة، والتي تعتبر مثالاً حقيقياً للحدث الكلامي. في هذه القصة، تخيل أن جاك وجيل كانا يتنزهان بين صفوف الأشجار، حين شعرت جيل بالجوع ورأت تفاحة على شجرة. فأصدرت جيل صوتاً باستخدام حنجرتها وأسنانها وشفثتها، مما دفع جاك إلى القفز فوق السياج، وتسلق الشجرة، وقطف التفاحة، ليقدّمها إلى جيل التي أكلتها.<sup>3</sup>

في هذه القصة، هناك عدة جوانب تثير اهتمام الباحثين؛ إذ يركز الباحث اللغوي على الحدث الكلامي والسلوك الناتج عنه. وفقاً لهذا المنهج، تُعد اللغة سلسلة من الاستجابات الكلامية لحوافز خارجية، ولا يهتم الباحث اللغوي بالعمليات النفسية (الحافز الداخلي) التي تسبق عملية الكلام وإصدار الأصوات. بدلاً من ذلك، يركز على دراسة الفعل الكلامي، موصوفاً ما فيه من فونيمات ومورفيمات وتوزيعها في إطار الجملة.

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات بين النشأة والتطور، ص 193.

<sup>2</sup> - أحمد مومن، اللسانيات بين النشأة والتطور، ص ص 193 - 194.

<sup>3</sup> - ع/ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 195.



- وقد قام بلومفيلد بتحليل هذه القصة كما يلي:
- ✳ أحداث عملية سابقة الحدث الكلامي
  - ✳ الحدث الكلامي
  - ✳ أحداث عملية تابعة للحدث الكلامي.

$S \dots \dots \dots \gg r \dots \dots \dots s \dots \dots \dots \gg R$

تمثل الخطوط المنقطعة الحدث الكلامي الذي يربط بين المتكلم والسامع. يعادل المثير (S) الأحداث العملية التي تسبق الحدث الكلامي، مثل إحساس جيل بالجوع ورؤيتها للتفاحة. أما الاستجابة (R) فتشير إلى الأفعال التي تلي الحدث الكلامي، مثل قفز جاك لتسلق الشجرة وقطف التفاحة ليقدّمها إلى جيل.

الحرف (r) يمثل الاستجابة البديلة (substitute response)، والتي تتمثل في إصدار جيل أصواتاً باستخدام أعضائها الصوتية للإشارة إلى الجوع بدلاً من قطف التفاحة بنفسها. أما الحرف (s) فيشير إلى المثير البديل، وهو أصوات جيل التي تحفز جاك على التصرف وكأنه هو الجائع.

وفي هذا المنحى، يقول بلومفيلد: «إنّ الكلام الذي هو تافه وغير هام في حد ذاته له شأن كبير لأنّ له معنى. ويشمل هذا المعنى على الأشياء الهامة التي يرتبط بها الكلام وخاصة الأحداث العملية»<sup>1</sup>. وفي الحقيقة، إنّ بلومفيلد لم يستدل بالمنهج السلوكي إلّا في حديثه عن المعنى. ومع هذا فهو يرى «أنّ تحليل المعنى هو أضعف نقطة في دراسة اللغة وسوف يظل هكذا حتى تتقدم المعرفة الإنسانية أكثر مما هي عليه في الحالة الراهنة»<sup>2</sup>. إنّ موقف بلومفيلد من مبدأ العلمية هو الذي حال دون دراسته للمعنى، فقد ألح إلحاحاً شديداً على عدم إقحام المعنى والمعايير غير اللغوية في دراسة اللغة.

لا تعتبر الدراسة اللغوية عند التوزيعيين بحثاً عن كيانات مفترضة تكمن وراء الأشكال اللغوية وتكون أسباباً لوجودها وتنظيمها. فكل ما يتعلق بالوصف اللغوي يحدث على مستوى السطح المنطوق أو المكتوب وأي محاولة للبحث عن شيء يتجاوز هذا السطح تُعتبر وهماً منهجياً غير مثمر. لذا، يُصر التوزيعيون على إقصاء المعنى تماماً من التحليل اللغوي، ليس لأن المعنى غير مهم، بل لأنهم يعتقدون أنّ المعنى لا يمكن أن يُدرس بدقة علمية وصفية مثلما تُدرس الأنظمة الظاهرة الأخرى.

وقد شجع هذا الموقف أتباع بلومفيلد على إهمال المعنى وتجاهله بشكل نهائي دون أن يفهموا مقصده بشكل واضح، فهو يرى «أنّ التحليل الدلالي لا يمكن أن يطمح للوصول بأي حالة للدقة العلمية المتاحة

<sup>1</sup> - ع/أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 196.

<sup>2</sup> - ع/أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 196.

للتحليل الشكلي للمادة اللغوية كما تلاحظ وتسجل، ولكن التطور العالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية<sup>1</sup>. وبهذا يتبين أن بلومفيلد لا يقنني المعنى من الترانسة اللغوية بشكل مطلق<sup>2</sup> إنما هو فقط يرجئ تناوله إلى حين توفر الشروط الكفيلة بدراسته بدراسة علمية مناسبة. ومما يؤكد هذا الموقف الأخير من بلومفيلد إشارته إلى إمكانية وصف المعنى في حالة «وجود بعض التعبيرات المتشابهة... من حيث المعنى في كل جماعة لغوية»<sup>3</sup> أو في حالة وجود ما سماه بالصفات المشتركة لجميع المواقف التي تحتم استخدام تركيب لغوي ما<sup>4</sup>.

ويبدو أن الذي جعل بلومفيلد يقبل بدراسة المعنى في مثل هذه الحالة هو اعتماده على وجود سمة الاشتراك أو المشابهة في المعنى بين التراكيب بوصفها ظاهرة اطرادية ومظهرا من مظاهر الانتظام مما يشكل شرطاً من الشروط التي يمكن أن تسمح بدراسة المعنى دراسة علمية<sup>5</sup>.

ويرى بلومفيلد في مجال الفونولوجيا أن الفونيمات يتم تنظيمها في سلسلة الكلام من خلال التقابل بطريقة صورية توزيعية\* لا علاقة لها بالجانب النفسي، وقد بلغ من فرط حرصه على نبذ الدراسة النفسية أنه رفض «اعتبار الفونيم مفهوما مكونا من عدد من الصفات الصوتية المميزة المحسوسة الناتجة عن عملية تجريد تتم على مجموعة من الأصوات، وذلك خشية الوقوع ثانية في التعبيرات غير الثابتة ذات الطابع السيكولوجي»<sup>6</sup>.

أما على مستوى التحليل الإجرائي لبنى اللغات فقد توصل بلومفيلد، بالإضافة إلى اعتماده على مفهوم التقابل، إلى اكتشاف مبدأ لساني هام يعتبر أساسا جوهريا في تحليلاته اللسانية سماه ب: التحليل إلى المكونات القريبة Constituents immédiats. ويتأسس الغرض المنهجي لهذا المبدأ على فكرة التحليل

<sup>1</sup> - ع/ ر. هـ. روبرت، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 342.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 342.

<sup>3</sup> - جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 121.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 121.

<sup>5</sup> - جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 121.

\* يراد بالطريقة التوزيعية تحليل الوحدات اللغوية بتقسيمها إلى فئات اندراجية (فئة الأسماء، فئة الأفعال، فئة الحروف الإدوات، أو فئة المبتدأ وفئة الخبر، فئة الحال... أو على مستوى الفونولوجيا: فئة الحروف الشفوية، فئة الحروف الحلقية، فئة الحروف الحنجرية... أو تقسيم فئة من هذه الفئات أو عنصر من فئة إلى سمات تمييزية... إلخ) وذلك عن طريق إجراء عملية تبديل الصوري فيما بينها ضمن ما تقتضيه سياقاتها اللغوية المختلفة من قوانين نموذجية شاملة، ولكن دون الرجوع إلى المعنى ما يفعل البنويون الوظيفيون. وقد أصبح لهذه الطريقة فيما بعد شأن هام مع أتباع بلومفيلد (وفي مقدمتهم تلميذه هاريس) الذين سعوا إلى تطويرها وصياغتها ضمن نظرية محددة المعالم والأهداف ومنهج بنوي متميز في تحليل الوحدات وتصنيفها.

<sup>6</sup> - جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 117.

الوحدات اللغوية تحليلاً يستهدف الوصول إلى الوصف التحليلي لبنية الجملة. وينظر إلى الجملة، عبر هذا المبدأ التحليلي بوصفها سلسلة من القطع الصوتية يراعي الباحث في تكوينها علاقاتها الاندراجية المنتظمة في شكل طبقات من الوحدات بعضها يكون بعضها الآخر. ويمكن متابعة مبادئ هذه العملية التحليلية من خلال أشكال تمثيلية متعددة نختار منها شكلاً واحداً هو شكل الأقواس، وهو شكل يُتخذ فيه نظام الأقواس لتمييز مراتب المكونات.

لدينا الجملة التالية: أطفالنا يفرحون بيوم العيد.

تمثل هذه الجملة بناءً Construction وباستعمال شكل الأقواس في تحليلها نلاحظ تنظيمًا للوحدات يرتكز على مكونين Composants اثنين هما:

2. يفرحون بيوم العيد

1. أطفالنا

ويمثل هذان المكونان كذلك مفهوم البناء (أو المركب) باعتبارهما قابلين للتحليل إلى مكونات أصغر منهما نلاحظها كالتالي:

1. (( أطفالنا )) + (( نا ))

2. (( يفرحون )) + (( بيوم )) + (( العيد ))

ثم نواصل إجراء التقسيم بغرض الوصول إلى أصغر المكونات (التي لا تقبل التحليل إلى ما هو أصغر منها مما يشكل وحدة دلالية صغرى في لغة من اللغات\*) لنحصل على المكونات التالية:

(( أطفال )) + (( نا )).

(( يفرح )) + (( ون )).

(( ب )) + (( يوم )).

(( ال )) + (( عيد )).

وحتى يتأكد اللسانيون التوزيعيون، في ظل تحليل الجملة بهذه الطريقة (طريقة المكونات القريبة)، على أن ما توصلوا إليه من وحدات هو المكونات القريبة للجملة فعلاً يقومون بإجراء لساني آخر يعتمدون فيه على مبدأ الاستبدال بين وحدات الجملة وبين ما يمكن أن يقوم مقامها من الوحدات في مدونة اللغة المدروسة، أي أنهم يبحثون لكل وحدة عثر عليها التحليل عن وحدة أخرى تكون مكافئة لها مثل جملة:

(مزارعوناً يحرصون على جودة الإنتاج). التي تتكافأ مع جملة المثال السابق كالتالي:

\* لا يلجأ بلومفيلد إلى المعنى من أجل تحديد الوحدات اللغوية ، وإنما يلجأ إلى التوزيع فحسب.

أطفال	نا	يفرح	جون اسجابيس	يوم	ال	عيد
مزارعو	نا	يحرص	علي	جودة	ال	إنتاج

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ إجراءات التحليل اللساني في هذا المبدأ البلومفيلدي لتتميز - مقارنة بالتحليل البنوي الأوروبي عند الوظيفيين- بكونها تعتمد على طريقة خاصة تبدو أكثر نضجا من حيث إنها لا تكفي بالبحث عن الوظيفة التمييزية في تحديدها للوحدات كما يفعل الأوروبيون، بل تحاول الكشف عن بنية الجملة من حيث هي طبقات اندراجية من المكونات والعلاقات.

وقد وجد هذا المبدأ قبولا عند بعض اللسانيين مثل: هاريس كما سيأتي بيانه في النظرية التوزيعية لاحقا، وحتى عند تشومسكي الذي تبنى التحليل إلى مكونات قريبة وإن كان قد بين قصور هذا التحليل على ما هو عليه لدى التوزيعيين فصاعه من أجل ذلك صياغة منطقية (النظرية التوليدية) وحاول أن يصلح هذا النقص بإضافة مفهوم التحويل وهو أحد المفاهيم الرئيسة في النظرية التوليدية التحويلية.

ومما يمكن قوله: إنّ كتاب بلومفيلد "اللغة" بقي مرجعا أساسيا بعد أكثر من ثلاثين سنة من ظهوره، بفضل ما قدمه من مفاهيم وتصورات لسانية جديدة ساهمت في تأسيس اللسانيات البنوية الأمريكية بوعي منهجي متكامل وتوجه علمي وموضوعي دقيق. وإن تفسير بلومفيلد للسانيات قد هيمن على موقف معظم اللسانيين الأمريكيين من 1933 حتى 1957، وإنّ جلّ العمل الذي أنجز في هذه السنوات عدّه القائلون به مجرد شرح أو تطوير للأفكار التي أتى بها بلومفيلد، وخير دليل على هذا أنّ هذه المرحلة أصبحت تعرف في تاريخ اللسانيات بالعهد البلومفيلدي.

#### البنوية التوزيعية عند زليل هاريس

بعد بلومفيلد جاء زليل هاريس الذي طوّر النظرية التوزيعية. فقد سعى إلى إبعاد كلّ اعتبار معنوي عن الوصف اللساني، بل ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه بلومفيلد فكان متطرفا باتخاذ فكرة رفض المعنى مبدأ نظريا. وانطلاقا من هذا المبدأ سعى هاريس إلى البحث عن الإجراءات التي تسمح بإبراز بنية لغة من اللغات عن طريق العناصر الصوتية فقط، ومجموع هذه الإجراءات هو ما يسمى "التحليل التوزيعي".

#### التحليل التوزيعي:

يتمحور منهج هاريس حول تحليل اللغة علميا من خلال النصوص؛ على السياقات الخطية. ويعني ذلك أن دراسة أقسام الخطاب تعتمد على مواقعها داخل النصوص بناءً على المعطيات الصوتية فقط، دون الرجوع إلى وظائفها التركيبية العامة. ويستند هذا المنهج إلى مبدأ رئيسي يتمثل في أن لكل وحدة لغوية نمطا توزيعيا خاصا بها. يُفقد بأن لكل وحدة لغوية توزيعا اقتنائيا مميزا. ويُقصد بالتوزيع في نظره هو «مجموع

السياقات التي يرد فيها مكوّن لغوي ما، ومدى تأثير هذه السياقات على هذا المكوّن سواء كان فونيمًا أم مورفيمًا<sup>1</sup>. يمثّل التوزيع أحد العوامل الأساسية التي تميّز بين الوحدات اللغوية، حيث يُظهر كل وحدة نمطًا خاصًا بها لا يمكن استبداله بوحدة أخرى. فعلى سبيل المثال: من يهيق/ يهيق/ عن الوحدة/ يزأر/ هو التوزيع الخاص بكل وحدة، حيث يُلاحظ أنّ التوزيع الأول يُظهر نمطًا محددًا في سياقات استعماله، مما يجعله مميزًا عن التوزيع الثاني.

كما في الجمل التالية، فالتوزيع الأول سيكون على شكل التالي:

ينهق الحمار أو الحمار ينهق

والتوزيع الثاني: يكون على الشكل التالي:

يزأر الأسد أو الأسد يزأر.

ولا يمكن عكس هذا التوزيع، حيث يتعذر القول: "ينهق الأسد" أو "يزأر الحمار"، لأنّ ذلك يخالف التوزيع اللغوي الطبيعي لهذه الوحدات.

وينطبق هذا المبدأ أيضًا على وحدات أخرى مثل: الأسماء التي تقبل الإضافة بياء المتكلم، كما في:

1. كتابي مفيد.

2. قلّمي جديد.

3. سيارتي جميلة.

تنتمي إلى نفس الصنف التوزيعي، ونفس الشيء يقال عن الوحدات المتّصلة بلفظة (سيارة) في الجدول التالي:

سيارة	ي	جديدة
	نا	
	كف	
	كك	
	كما	
	كما	
	كم	
	كن	

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 200.



إن هذه الوحدات تسمى في النحو التقليدي بالضمائر المتصلة وتنتمي إلى نفس الفئة التوزيعية وتسمى هذه الأصناف في اصطلاح اللسانيين بـ "أقسام الخطاب" حيث يتم تصنيف الوحدات اللغوية بناءً على توزيعها ووظائفها داخل الجملة.

وعلى هذا الأساس يمكن تحليل جميع الجمل عن طريق تجزئتها إلى قطع تتحصر شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح غير قابلة للتجزئة، وهذا ما يسمى بالتحليل إلى المقومات المولية أو المباشرة. وهي الوحدات التركيبية للخطاب التي تمدنا بأقسام هذا الأخير أي الوحدات التركيبية الاستبدالية.

### طريقة التجزئة إلى المقومات المباشرة

تعدّ طريقة التجزئة إلى المقومات المباشرة منهجاً منتظماً ومنطقياً يُستخدم لتحليل الجمل بهدف الكشف عن الهيكل الهرمي الذي تعتمد عليه دون أن يؤخذ المعنى بعين الاعتبار.

تقوم هذه الطريقة عبر خطوات متسلسلة تبدأ بكتابة الجملة المراد تحليلها، ثم تقسيمها إلى مقومين رئيسيين. بعد ذلك، نكرر التحليل لكل مقوم على حدة حتى نصل إلى الوحدات المعنوية الدنيا، وهي العناصر اللغوية البسيطة غير قابلة للتجزئة.

على سبيل المثال، لتحليل الجملة :

الطالب يقرأ الكتاب.

1. نُجزئ الجملة إلى مقومين رئيسيين:

- "الطالب" (مقوم أول)

- "يقرأ الكتاب" (مقوم ثانٍ)

2. نُعيد تجزئة المقوم الثاني:

- "يقرأ" (فعل)

- "الكتاب" (مفعول به)

3. عند هذه النقطة، نكون قد وصلنا إلى الوحدات اللغوية البسيطة:

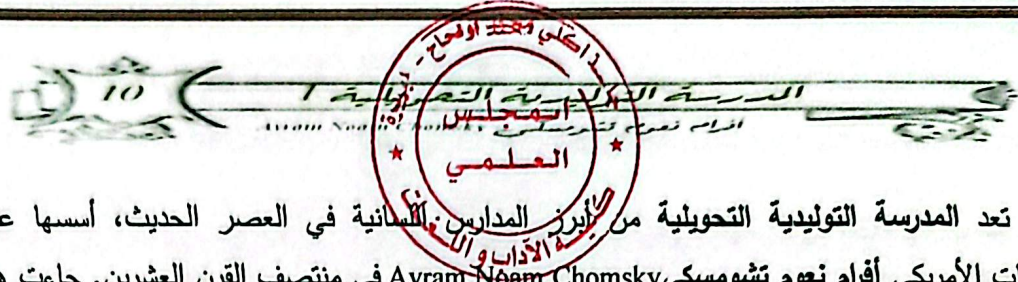
- الطالب

- يقرأ

- الكتاب

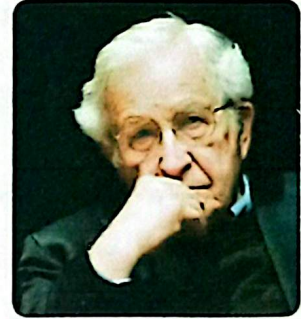


وبذلك، يُبرز هذا التحليل التركيب النحوي الجملة بشكل هرمي، يظهر العلاقات البنوية بين مكوناتها، بعيداً عن تأثير المعنى.



تعد المدرسة التوليدية التحويلية من أبرز المدارس اللسانية في العصر الحديث، أسسها عالم اللغويات الأمريكي أفرايم نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky في منتصف القرن العشرين. جاءت هذه المدرسة كرد فعل على المقاربات البنوية، حيث سعت إلى تجاوز الوصف السطحي للغة إلى البحث في البنية العميقة للتركيب اللغوي وآليات إنتاج الجمل.

يعد نعوم تشومسكي لساني من عائلة روسية إسرائيلية ولد في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية في 07 ديسمبر 1928. درس تشومسكي الفلسفة والمنطق واللغات في جامعة بنسلفانيا، وحصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات. منذ عام 1955، تتلمذ على يد هاريس الذي يعد قطبا من أقطاب المنهج الوصفي، أصبح أستاذاً في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، حيث عمل لأكثر من خمسين عاماً، وقدم إسهامات رائدة في فهم بنية اللغة وعلاقتها بالعقل.



إلا أنه كان جد متأثر بالعقلانيين أمثال: أفلاطون، وديكارا، مما جعله يخالف أستاذه، بل يحدث ثورة على الوصفيين الذين تجاهلوا الدلالة اللغوية واعتبروا الإنسان شبيهاً بالآلة أو الحيوان يستجيب فقط لردود أفعال مثيرات خارجية مما جعل تشومسكي يرسخ في نظريته العقل ويعتبره المصدر الرئيسي للمعرفة وهو أسمى من الحواس ومستقل عنها، وأن هناك متصورات وقضايا مسبقة مكتسبة دون تجربة، يقوم العقل من خلالها بتفسير المعطيات بدل النظرة السطحية التي تقصي المعنى وتصف اللغة مستقلة عنه فأعلن تشومسكي عن منهج جديد لدراسة اللغة، أطلق عليه اسم "القواعد التوليدية التحويلية"، مما أدى إلى إحداث ثورة في مجال اللسانيات ضمن التيار العقلاني.

### ظروف نشأة النظرية ومراحل تطورها

إن المنهج الوصفي وعلى رأسهم بلومفيلد الذي رسم مؤلفه كتاب اللغة بإنجيل العلم الأمريكي الذي وطد دعائم اللسانيات وأرسى مفاهيمها على أسس وصفية بحتة ما يقارب الثلاثين سنة لم يراع فيها إلا الجانب السطحي والشكلي، فاللغة عنده ناتجة عن استجابة للمثيرات الخارجية. فهي لم تفسر كيفية إدراك الكلام وإحداثه.

كما أن النظريات الوصفية مع إهمالها للمعنى تقصي الذهن في توليد الكلام، بل تشبهه بالخرزانة المشحونة بالمرادفات التي يلقنها المجتمع باعتبار أن الإنسان غير حر، أدى ذلك إلى بروز النظرية التوليدية التحويلية، التي قادها العقلانيون بزعامة تشومسكي. وقد شهدت هذه النظرية تطورات متلاحقة



بدأت بوادها الأولى منذ أن كان تشومسكي طالباً في معهد ماساتشوستس، حيث قدم أبحاثاً حول النحو في لغة بانيني، بالإضافة إلى دراسة حول مورفولوجيا العبرية، لتتوالى بعدها بحوثه ذات الطابع التحليلي.

قسمت إلى ثلاث مراحل مهمة، وهي على النحو الآتي:

**المرحلة الأولى (النموذج المعياري):** جسدها تشومسكي في كتابه الثوري "البنى التركيبية" Structures Syntaxique. الصادر سنة 1957، الذي انصبّ فيه على النحو أكثر من الدلالة إلا أنه كان يحس أن ثمة قصوراً يعتبر نظريته يتمثل في العنصر الدلالي. وأطلق على هذه النظرية فيما بعد اسم النظرية الكلاسيكية.

وقد تضمن هذا النموذج الإطار الأولي لنظريته (احتوى قواعد تفسر العلامة اللسانية)، موضعاً كيفية اشتقاق الجمل من خلال قواعد توليدية محددة، مما شكّل تحولاً جذرياً في دراسة النحو واللسانيات.

يرتكز النموذج الأول للنظرية التوليدية التحليلية على مبادئ أساسية، أهمها:

1. **الإبداعية:** وهي استعمال لنظام اللغة استعمالاً ابتكارياً، وتجديدياً لا مجرد تقليد سلبي لقواعده حيث «تبرز بوضوح صفة الإبداعية كإحدى الصفات الأساسية التي تتّصف بها اللغات بصورة مشتركة. فاللغة تتمم بميزة أساسية من حيث أنها توفر للإنسان الوسائل اللازمة لكي يُعبّر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة، ولكي يتفاعل بصورة ملائمة، في عدد غير متناهٍ من المواقف الجديدة»<sup>1</sup>. ويبدو جلياً تأثره بديكاريت الذي أول أهمية للمظهر الإبداعي للغة، يقول تشومسكي: «أحد الإسهامات الأساسية فيما سميناه اللسانيات الديكارتيّة أن نلاحظ أن اللغة الإنسانية في الاستعمال العادي ليست خاضعة لرقابة المثير الخارجي أو الحالات الداخلية القابلة للتعيين بطريقة مستقلة، وليست محدودة بوظيفة تطبيقية في التواصل»<sup>2</sup>. يتضح من هذا النص أن تشومسكي يرى في اللغة ملكة إبداعية مستقلة، لا تخضع لمنهج السلوكيات الآلية التي تربط الاستجابة بالمثير، كما تفترض المدارس السلوكية. فاللغة، وفقاً لنظريته، ليست مجرد أداة تواصلية محصورة في وظائف محددة، بل هي نظام معرفي فطري يتيح للإنسان إنتاج تعابير جديدة لا متناهية استناداً إلى مجموعة محدودة من القواعد.

<sup>1</sup> - ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ط1. بيروت: 1983، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 29/28.

<sup>2</sup> - Noam Chomsky, La Linguistique Cartésienne, tr: E. Delanoë et D. Seperber édition du seuil, paris. P45.

ومن هنا، ينسجم تصور تشومسكي مع الفلسفة الديكارتيّة التي تنظر إلى العقل البشري باعتباره مصدرًا للمعرفة، حيث يتمتع الإنسان بقدرة إبداعية تلقائية لا تعتمد فقط على المحفزات الخارجية، بل تتبع من بنية داخلية تمكنه من فهم وإنتاج اللغة دون الحاجة إلى تعلم مباشر لكل تعبير لغوي جديد.

تُجسد الإبداعية في جوهرها قدرة المتكلم التلقائية على فهم وإنتاج عدد غير محدود من الجمل التي لم يسبق له سماعها أو التلفظ بها، وذلك بالاعتماد على مجموعة محدودة من العلامات اللسانية. فهي خاصية تُظهر كفاءة المتكلم، وتؤكد أن الذهن الإنساني يتمتع بقدرة إبداعية فريدة. «فامتلاك الإنسان ملكة خاصة بنوعه هي نموذج لتنظيم فكري وحيد. لا يختص بأعضاء خارجية ولا يرتبط بالذكاء العام وهو ما يتجلى فيما يمكن أن نسميه المظهر الإبداعي L'aspect Créateur لاستعمال اللغة وميزة هذه الملكة أنها تفتح مجال الإمكانيات بدون حدود وبدون الاعتماد على أي مثير»<sup>1</sup> ومن هذا المنطلق، يتضح أن الكلام ليس مجرد إعادة إنتاج لجمل سبق سماعها، بل هو عملية إبداعية مستمرة، حيث يبتكر المتكلم تعابير جديدة انطلاقًا من بنيته اللغوية الفطرية.

## 2. الحدس اللغوي l'intuition

يُعد الحدس اللغوي من المفاهيم الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية التي قدمها نعوم تشومسكي، حيث يُعبر عن قدرة المتكلم الفطرية على التمييز بين الجمل الصحيحة وغير الصحيحة نحوياً دون الحاجة إلى وعي صريح بالقواعد اللغوية. وقد شكل هذا المفهوم حجر الأساس في فهم طبيعة الكفاءة اللغوية، التي تميز بين المعرفة الضمنية للنظام اللغوي والأداء الفعلي في التواصل. «نسمي مقدرة المتكلم على أن يُدلي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة التي تكون جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة، بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة»<sup>2</sup>. يُثبت هذا القول إن اللغة ليست مجرد عملية حفظ وتكرار، بل هي نظام معرفي داخلي يسمح للمتكلم بتوليد عدد لا نهائي من الجمل عبر عدد محدود من القواعد، وفهم جمل جديدة لم يسمعها من قبل.

ويعد هذا الحدس جزءاً من الملكة اللسانية «أي جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة»<sup>3</sup>. فالحدس عند تشومسكي هو الأداة التي تمكن المتكلم من الحكم القاطع على مدى صحة الجملة نحوياً (أصوليتها) أو انحرافها عن القواعد، وكذلك على مدى تقبلها من قبل المتحدثين الأصليين للغة. وهو جزء لا يتجزأ من الملكة اللسانية التي تتيح لنا اكتساب اللغة واستخدامها بمرونة وإبداع.

<sup>1</sup> Noam Chomsky, La Linguistique Cartésienne, tr: E. Delanoë et D. Seperber, p 20.

<sup>2</sup> ميشال زكريا، الأسمية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 38.

<sup>3</sup> ميشال زكريا، الأسمية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 38.

فالحس اللغوي يعكس الفرق بين الكفاءة اللغوية (Competence) ، وهي المعرفة الفطرية بالقواعد والأداء اللغوي (Performance) ، وهو الاستخدام الفعلي للغة في التواصل اليومي.

3. ما أوجده تشومسكي في اللسانيات يعد نقلة نوعية نحو تحليل اللغة بطريقة علمية رياضية، حيث قام بوضع نموذج صوري صارم يتيح تفسير كيفية عمل النظام اللغوي بآليات رياضية دقيقة. هذا التصور جعله قادراً على تقديم بدائل وصفية للأنظمة النحوية التقليدية، مما أدى إلى إحداث قطيعة إبستمولوجية في دراسة اللغة، وجعل اللسانيات تقرب أكثر من العلوم الصورية كالرياضيات والمنطق.<sup>1</sup>

فالبحث في اللسانيات التوليدية موجه نحو الجملة ، بوصفها الوحدة الأساسية ذات المعنى. «فالجملة فقط هي التي يمكن أن يكون لها معنى، ولما كان للكلمات معانٍ إشارية فإنها تكتسبها إما من خلال كونها أجزاء من جمل، وإما بتحديد أكثر من خلال التعريفات الظاهرية، غير أن التعريفات الظاهرية تكتسب أيضاً عن طريق معاني الجمل»<sup>2</sup>. فالمعنى لا ينبثق من المفردات بشكل مستقل، وإنما يتشكل من خلال العلاقات النحوية التي تربطها داخل البنية الجمالية، أو عبر التعريفات الظاهرية التي تستمد معناها بدورها من سياق الجمل. وهذا يعني أن التحليل اللغوي لا يقتصر على التحقق من صحة التراكيب النحوية، بل يمتد إلى الكشف عن البنية المعرفية التي تقود إلى إنتاج المعاني في اللغة البشرية. وهذا يتماشى مع مبدأ تشومسكي القائل بأن البنية العميقة تحمل المعنى الحقيقي للجملة، بينما البنية السطحية تعكس التراكيب النحوية المختلفة التي قد تتخذها الجملة دون أن يطرأ تغيير جوهري على المعنى.

أما فيما يخص النماذج التي اقترحها تشومسكي في هذه المرحلة من أجل تفسير العلامة اللسانية (الجملة) فهي محصورة في ثلاث قواعد مستمدة من القدرة الإبداعية، على النحو الآتي:

### 1. نحو المواقع المحدودة:

يعد أبسط النماذج النحوية التي قدمها تشومسكي لوصف اللغة، يكفل توليد عدد لا متناه من الجمل عن طريق عدد محدود من القوانين المحدودة التي تطبق على مفردات اللغة المحدودة «أي أنه سلسلة من الاختيارات تتم في السياق الخطي للكلام على أن الاختيار للحق يحدده اختيار العناصر السابقة»<sup>3</sup>، وكل هذا يتم في إطار الجملة.

وقد أولى تشومسكي هذه القدرة الإبداعية اهتماماً كبيراً على الإنتاج غير المحدود للجمل، باتباع قواعد نحوية في كل لغة تمكننا من تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة. فالتوليد Générative ليس الإنتاج المادي

<sup>1</sup> - ينظر: مازن الوعر، تشومسكي، مجلة اللسان العربي، ع 31، 1988، جامعة الدول العربية، مكتب التنسيق والتعريب.

<sup>2</sup> - ف. ر. بالمر، علم الدلالة، تر: صبري إبراهيم السيد، ط1. القاهرة: 1995، دار المعرفة الجامعية، ص 157.

<sup>3</sup> - ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 127.



للجمل، بل هو القدرة على التمييز بين ما هو نحوي وما هو غير نحوي وطرد الثاني من مجاله اللساني، وهذا بفضل القدرة الذاتية للقواعد.

فالتوليد من أهم المفاهيم التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي، وتميز بها. ويقصد به «القدرة التي يتلها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل، وكل هذا يصدر بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة»<sup>1</sup>.

تسير القواعد التوليدية إلى النظام المعرفي الداخلي لدى المتكلم، والذي يمكنه من فهم وإنتاج جمل جديدة لم يسبق له سماعها، كما يمنحه القدرة على التمييز بين الجمل النحوية الصحيحة والجمل غير الصحيحة في لغته. وأبسط النماذج التي عرضها تشومسكي لهذه القواعد النحوية المحدودة، «وهو يقوم على مبدأ أن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات... تبدأ من اليسار إلى اليمين؛ بمعنى عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول؛ فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجمل»<sup>2</sup>. ونمثل لهذا بالجملة الآتية: ذلك الطالب نجح في الاختبار.

إذا استبدلنا "ذلك" بـ "تلك"، فلا بد من تعديل بقية عناصر الجملة لتتوافق مع التغيير:

تلك الطالبة نجحت في الاختبار.

شرح التعديلات وفق مبدأ الاختيار:

1. "ذلك" (مفرد مذكر) → "تلك" (مفرد مؤنث)

2. "الطالب" (اسم مذكر) → "الطالبة" (اسم مؤنث)

3. "نجح" (فعل بصيغة المذكر) → "نجحت" (فعل بصيغة المؤنث)

يُظهر هذا المثال كيف أن تغيير عنصر واحد في الجملة يتطلب تغييرات أخرى للحفاظ على التوافق النحوي وهو ما يعكس مبدأ التوليد القائم على الاختيارات المتسلسلة في اللغة.

انطلاقاً من المثال السابق، يمكننا تصور النحو على أنه نظام ديناميكي يعمل عبر عمليات اختيارية تترايط فيما بينها. غير أن هذا النموذج من القواعد يظل غير قادر على توليد بعض أنواع الجمل، مما دفع تشومسكي إلى اقتراح نموذج أكثر تطوراً أطلق عليه "قواعد تركيب أركان الجملة". يتميز هذا النموذج بقدرة توليدية أوسع مقارنة بـ نحو المواقع، إذ يتيح إنتاج تركيب لغوية أكثر تعقيداً، ويتجاوز القيود التي يفرضها

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 206.

<sup>2</sup> - مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ط2. دمشق: 1992، دار طلاس، ص 27.



النموذج الأول، مما يجعله أكثر كفاءة في تفسير البنية العميقة للغة.<sup>1</sup> يعتمد نموذج تركيب أركان الجملة على فكرة أن الجملة ليست مجرد سلسلة من الكلمات المرتبطة خطياً، بل هي بنية هرمية تتألف من مكونات رئيسية تنفرع إلى وحدات أصغر، مما يسمح بتفسير العلاقات العميقة بين عناصر الجملة.

## 2. نحو بنية العبارة:

يُعد نموذج نحو بنية العبارة أكثر تعقيداً من النموذج الأول، حيث يعتمد في تحليله على تفكيك الجملة إلى مكوناتها المباشرة وفق تسلسل هرمي، مما يجعله أكثر دقة في تمثيل العلاقات النحوية. وفي هذا النموذج، تُعد الجملة هي الوحدة الأساسية للتحليل، بحيث يتم تفصيل بنيتها وفق قواعد توليدية تأخذ شكل قواعد إعادة كتابة، أي تحويل مكونات الجملة إلى تراكيب أكثر تفصيلاً، مما يسمح بتمثيل العلاقات التركيبية بشكل أكثر دقة ومرونة.

بمعنى أنها تعيد كتابة الجملة بواسطة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام، ومثال ذلك: لدينا الركن الفعلي مكون من فعل وفاعل ومفعول به، نمثل له بالقاعدة التالية:

ركن فعلي ← فعل + ركن اسمي (فاعل) + ركن اسمي (مفعول به).

هذا النموذج لا يقتصر على التحليل الخطي للكلمات، بل يعتمد على التدرج التركيبي، حيث يتم تحليل الجملة إلى وحدات كبرى مثل المركب الاسمي (NP) والمركب الفعلي (VP)، ثم يتم تفكيك كل وحدة إلى مكوناتها الفرعية، مما يساهم في تفسير البنية العميقة للجمل وفهم كيفية اشتقاقها من تراكيب أساسية إلى تراكيب أكثر تعقيداً عبر قواعد التحويل.

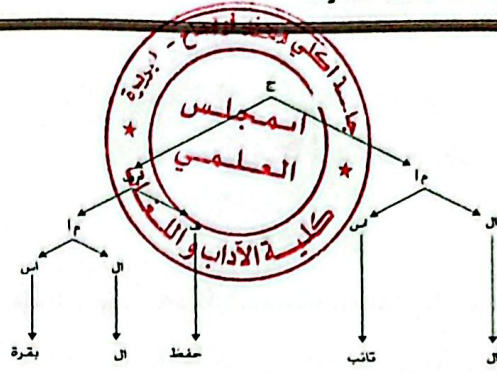
ويمكن أن نوضح الصورة التي وضع عليها تشومسكي قواعد تركيب الجملة في كتابه "البنية التركيبية"

بالقواعد الآتية:

1. الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي.
2. المركب الاسمي ← أداة التعريف + اسم.
3. المركب الفعلي ← الفعل + المركب الاسمي.
4. أداة التعريف ← ال.
5. الاسم ← (رجل، كرة...).
6. الفعل ← (ضرب، أخذ...).

وتمثل العناصر السابقة على طريقة الشجر المتوالي:

<sup>1</sup> - مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص 27.



يمكن تمثيل القواعد التوليدية باللغة العربية كما يلي:

- اركان انغضي → (VP) فعل + (V) مركب اسمي (NP)
- امركب الاسمى → (NP) اسم + (N) أداة تعريف أو تنكير (Det)

### تطبيق على جملة فعلية:

الجملة الأصلية: كتب الطالب الدرس.

تحليلها وفق القواعد التوليدية:

- VP → V + NP → كتب + الطالب الدرس
- NP → Det + N → الطالب = ال + طالب
- NP → Det + N → الدرس = ال + درس

تُظهر هذه القواعد كيف يتم إعادة كتابة الجملة وفق عناصرها الأساسية، مما يسمح بفهم بنيتها اللغوية وتحليل علاقاتها التركيبية بشكل دقيق.

يرى تشومسكي أن نحو بنية العبارات أكثر تطوراً ومرونة من نحو المواقع المحدودة، حيث يسمح بتمثيل العلاقات النحوية بشكل هرمي يعكس البنية العميقة للجملة. ومع ذلك، يظل نموذجاً محدوداً، إذ لا يتمكن من تفسير جميع الظواهر اللغوية، خصوصاً تلك التي تتطلب عمليات تحويلية أكثر تعقيداً.<sup>1</sup>

ومن أبرز أوجه القصور في هذا النموذج عجزه عن تحليل الجمل الغامضة أو المتعددة المعاني، أي تلك الجمل التي يمكن فهمها بأكثر من طريقة بسبب تركيبها النحوي. فعلى سبيل المثال:

جملة: زار الطالب الأستاذ وهو مسرور.

- قد يُفهم أن الطالب هو المسرور.
- وقد يُفهم أن الأستاذ هو المسرور.

<sup>1</sup> - ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، مصر: 1995، دار المعرفة الجامعية، ص 128.



بسبب هذا القصور، اقترح تشومسكي إدخال القواعد التحويلية، التي تسمح بإعادة تشكيل الجمل وفك غموضها، مما ساهم في تطوير النظرية التوليدية التحويلية.

### 3. النحو التحويلي:

يُشكّل التحويل محورًا أساسيًا في القواعد التشومسكية، وهو مفهوم استمدّه تشومسكي من أستاذه زيلغ هاريس، كما اقتبس منه استخدام الرموز الجبرية في تحليل الظواهر اللغوية<sup>1</sup>. يُعبّر التوليد عن الجانب الإبداعي في اللغة، إذ يُبرز قدرة الإنسان على إنتاج وفهم عدد غير محدود من التراكيب اللغوية. في المقابل، يقوم التحويل بوظيفة نقل البنى العميقة إلى مستويات أخرى، كالبنى المتوسطة والسطحية، موضحًا بذلك الآليات الذهنية التي تحكم بناء الجملة وتحويلها.

تشير القواعد التحويلية إلى مجموعة من الإجراءات النحوية التي تتيح تحويل جملة إلى أخرى تحمل معنى مشابه، مع مراعاة العلاقات القائمة بين الجمل المتماثلة والعمليات التي تؤدي إلى اختلافها على مستوى البنية السطحية<sup>2</sup>. ويتم ذلك من خلال عملية الاشتقاق التي تعتمد على ثلاثة عناصر أساسية: المؤشر النحوي، والمكوّن المعجمي، وقواعد التحويل، حيث تتكامل هذه العناصر لتوليد تراكيب لغوية متنوعة تعكس عمق البنية اللغوية وديناميكيّتها.

وتُبرز القواعد التحويلية آليات التوليد اللغوي من خلال تطبيق عمليات تحويلية تُحدث تغييرات بنوية في الجملة، مثل: الحذف والإحلال والتوسع والزيادة والتقديم والتأخير، مما يؤدي إلى إنتاج تراكيب متعددة تنطلق من بنية عميقة مشتركة. ويؤدي المؤشر النحوي دورًا محوريًا في تحديد العلاقات النحوية بين عناصر الجملة، بينما يُسهّم المكوّن المعجمي في تزويد هذه البنية بالمفردات المناسبة وفق السياق. ومن خلال هذه العمليات، تتجلى قدرة اللغة على التعبير عن معانٍ متعدّدة باستخدام تراكيب متنوعة، الأمر الذي يعكس البنية الإبداعية للغة ويكشف عن القواعد الذهنية التي تحكم إنتاج الكلام وفهمه.

تُمكن القواعد التحويلية من توليد عدد كبير من الجمل انطلاقًا من البنية العميقة، وهي التي تمثل المعنى، حيث تخضع هذه الجمل لعمليات نحوية تؤدي إلى تحويلها إلى بنية سطحية تُجسّد الكلام المنطوق أو المكتوب، وهو ما يُعرف بعمليات التحويل.

<sup>1</sup> - ينظر: جيفري سامبسون، المدارس اللغوية - التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين، ط1. بيروت: 1993، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 142.

<sup>2</sup> - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، 1998، ص 123.



فالقواعد التحويلية عند تشومسكي تعكس حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد، إذ تُمكن من توليد عدد لا حصر له من الجمل، وتولي اهتماما كبيرا بالمعنى أكثر مما توليه قواعد نحو بنية العبارات. كما تسهم في إزالة اللبس التركيبي الذي وقعت فيه القواعد السابقة، مما يوفر فهماً أكثر للبنية اللغوية وتحليلها.<sup>1</sup>

وتتم عملية التحويل وفق نمطين من القواعد:

1. قواعد جوازية اختيارية: هي تلك القواعد التي لا يلزم تطبيقها في كل مرة عند بناء الجملة، بل يجوز للمتكلم اختيار استخدامها أو عدمه دون أن تفقد الجملة صحتها اللغوية. ومن بين هذه القواعد، تأتي قواعد تحويل المبني للمجهول كمثال بارز، حيث يمكن تحويل الجملة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول وفق شروط معينة، لكن هذا التحويل ليس دائماً إلزامياً.

تتيح هذه القواعد للمتكلم مرونة في التعبير، مما يعكس جانباً من الإبداع اللغوي داخل إطار النظام النحوي، ويُميزها عن القواعد الوجوبية التي يجب تطبيقها لضمان صحة الجملة. ومثال ذلك قولك: "شرح الأستاذ الدرس". جملة مبنية للمعلوم، وإذا أردنا تحويلها إلى المبني للمجهول باستخدام قاعدة جوازية اختيارية، نقول: "شرح الدرس". يتم هذا التحويل من خلال تعديل الفعل ليأخذ صيغة المبني للمجهول، مع رفع المفعول به ليصبح نائب الفاعل، دون أن يكون هذا الإجراء إلزامياً، إذ يمكن للمتكلم إبقاء الجملة في صيغة المعلوم.

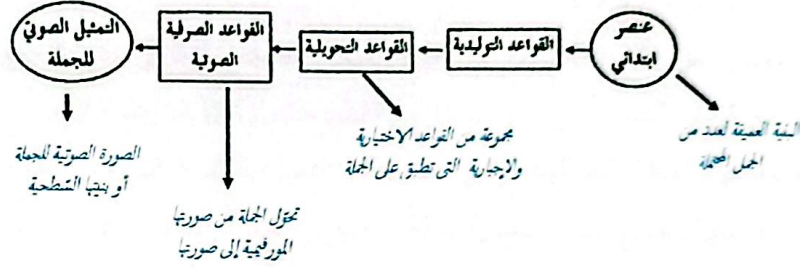
2. قواعد وجوبية: هي تلك القواعد التي لا بد من تطبيقها لضمان صحة الجملة من الناحية النحوية. ومن أبرز هذه القواعد في اللغة العربية قواعد وضع الحركات الإعرابية على الأسماء والأفعال، إذ إن وجود نظام واضح ودقيق لوضع هذه الحركات يُعد أمراً إلزامياً لا غنى عنه، لأن تطبيقها الصحيح يشكل أساساً جوهرياً لصحة الجملة وفهم معناها بشكل دقيق.<sup>2</sup> وبالتالي، فإن أي مخالفة لهذه القواعد الوجوبية تؤدي إلى خلل في تركيب الجملة، مما يؤثر على وضوحها ودقتها، ويُضعف من قدرتها على نقل المعنى بشكل سليم داخل السياق اللغوي. مثلاً، إذا كان هناك نظام يحدّد مواضع الحركات على الأسماء، فإن الالتزام به يصبح

<sup>1</sup> - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، ص 129 - 130.

<sup>2</sup> - محمد الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ط1. الأردن: 1999، دار الفلاج، ص ص 41/40.

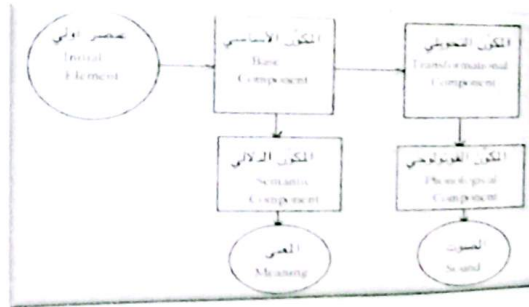
ضرورة؛ لأن الحركات الإعرابية عنصر أساسي في بناء المعنى. يتجلى ذلك في قواعد رفع الفاعل ونصب المفعول به، وغيرها، حيث تمثل هذه الحركات عمليات تحويلية الرامية تفرضها بنية اللغة لضمان سلامة التركيب ووضوح الدلالة.

ويشكل عام، يمكن أن نلخص جملة الأفكار الابتدائية التي طرحها تشومسكي في "البنى التركيبية" والتي عدلها فيما بعد، في الشكل الآتي:



المرحلة الثانية (1965-1970): ظهرت بظهور كتابه "ملاح النظرية التركيبية" Aspects de la Théorie Syntaxique سنة 1965، وهو الكتاب الذي تدارك فيه تشومسكي النقائص الواردة في كتابه الأول "البنى التركيبية"، وفي هذا الكتاب أخذت النظرية صورتها النهائية بعد التحويلات التي مستها إثر طرح "كانتر" و"قودور" و"بروندال" فكرة ضرورة إدماج العنصر الدلالي، وأصبح هو الأساس في تفسير معاني البنى المختلفة.

وذلك كما يمثله الرسم البياني الآتي<sup>1</sup>:



<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 231.



وأهم مبادئ هذه المرحلة نوجزها في النقاط الآتية:

أولاً: التمييز بين الكفاية اللغوية *Compétence* والأداء اللغوي *Performance*.

يمكن تحديد الكفاية اللغوية بأنها «المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة»<sup>1</sup>. فالكفاءة اللغوية عند تشومسكي تُشير إلى المعرفة الضمنية التي يمتلكها الفرد بقواعد لغته الأم، والتي تُمكنه من إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل الصحيحة نحويًا، حتى وإن لم يسبق له سماعها من قبل. هذه الكفاءة ليست مهارة مكتسبة من خلال الممارسة، بل هي نظام عقلي مجرد يُمثل قدرة فطرية تُتيح للإنسان فهم بنية اللغة واستخدامها بكفاءة.

ويحدد الكفاءة في موضع آخر بأنه «ما يشير إلى قدرة المتكلم المستمع المثالي على الجمع بين الأصوات والمعاني في تناسق مع قواعد لغته». وفي هذا السياق، يتقاطع مفهوم الكفاءة عند تشومسكي مع ما طرحه ابن خلدون في مفهومه عن الملكة اللسانية، والتي تعني تلك القدرة المكتسبة التي يُتقن بها الفرد لغته بحيث تصبح جزءًا من بنيته الذهنية، فينتج كلامه بعفوية ودقة. وكما أن الملكة اللسانية عند ابن خلدون تتجلى من خلال الاستعمال السليم للغة، فإن الكفاءة عند تشومسكي تمثل قدرة الإنسان الفطرية على بناء تراكيب لغوية غير محدودة مع الالتزام بالقواعد الصحيحة.

أما فيما يتعلق بمبدأ الكفاءة باعتبارها نظامًا عقليًا، فهو يشير إلى أن هذه القدرة ليست ملموسة في حد ذاتها، بل يُستدل عليها من خلال الأداء اللغوي — أي السلوك اللغوي الفعلي الذي نلاحظه عند المتكلم. نصل إلى إدراك هذا النظام العقلي من خلال ما يُعرف بالحدس اللغوي، وهو ما يسمح للمتحدث بالحكم تلقائيًا على صحة أو خطأ الجمل التي يسمعها، أو تمييز الغموض في بعض التراكيب دون حاجة لتعلم صريح، فهو «يشعر بوجود كفاءته عندما يتساءل إن كانت جملة نحوية أو غير نحوية»<sup>3</sup>. بالتالي، فإن الكفاءة عند تشومسكي تُعد الأساس العقلي الذي يمكن الإنسان من التعامل مع لغته بمرونة وإبداع، وهي قدرة لا نرصدها بشكل مباشر، بل نستدل عليها من خلال تحليل الأداء اللغوي والاعتماد على الحدس اللغوي للكشف عن القواعد الكامنة خلف هذا الأداء. ونشير هنا إلى أن هناك مصطلحات عديدة تعبّر عن نفس المفهوم، منها: القدرة اللغوية، الملكة اللغوية، الطاقة اللغوية، والكفاءة اللغوية.

<sup>1</sup> - ميشال زكريا، قضايا السنوية تطبيقية، بيروت: 1993، دار العلم للملايين، ص 61.

<sup>2</sup> - chomsky, la linguistique cartésienne, p 126.

<sup>3</sup> - R.Galisson, D . coste, Dictionnaire de didactique des langues, Hachette, p 105 .



ويمكن التمييز بين المعرفة باللغة من جهة، وبين استعمال اللغة الذي يسمّى بالأداء الكلامي من جهة أخرى. وهو «ما يبلغه متكلم أو سامع معين عند مباشرته الفعلية للغة»<sup>1</sup>. فالأداء اللغوي، فهو التجلّي الفعلي لتلك الكفاءة أثناء ممارسة اللغة في مواقف التواصل.

يقول تشومسكي إن الكفاءة اللغوية نظام مجرد متضمن في الأداء، فهو يشير إلى أن ما نلاحظه من استخدام لغوي هو في الواقع مظهر من مظاهر قدرة أعمق وأكثر تجريدًا، وهي الكفاءة التي تتجلّى في القدرة على إدراك العلاقات النحوية والدلالية الكامنة في أي تركيب لغوي. فالأداء الكلامي هو الاستخدام الآني والعملي للغة ضمن سياق معين، حيث يعود المتكلم بشكل طبيعي إلى القواعد الكامنة في كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مواقف وظروف مختلفة. يمثل الأداء الكلامي تجسيدًا حيًا للنظام اللغوي في التطبيق ويعكس قدرة الفرد على توظيف قواعد اللغة بمرونة لتلبية متطلبات التواصل الفعلي.

فالكفاءة اللغوية تُعنى بالقواعد التي تحكم تكوين الجمل في العقل، بينما الأداء يعكس تطبيق هذه القواعد في الواقع. ويُمكننا الاستدلال على وجود هذه الكفاءة من خلال قدرة الأفراد على إنتاج وفهم تركيب لغوية جديدة باستمرار، ما يدلّ على وجود نظام داخلي يُنظّم العملية اللغوية، ويُشكّل الأساس النظري لعلم اللغة التوليدي عند تشومسكي. فالكفاءة اللغوية هي التي تقود عملية الأداء الكلامي. يقول رونالد إيلوار: «المهارة (الكفاءة) تتأولها تشومسكي من زاوية الإنسان المتكلم وهي كلّ ما يتيح لمنظومة من القواعد أن تباشر عملها، أي إنها ظاهرة نفسية لا شعورية في معظمها تعين الفرد على الانتقال إلى مرحلة الأداء»<sup>2</sup>. ويبرز هذا التصور الدور المحوري للكفاءة اللغوية في تمكين الفرد من إنتاج اللغة وفهمه للجمل، استنادًا إلى معرفة ضمنية بالقواعد تعمل بشكل تلقائي أثناء الأداء.

#### ثانيًا: البنية العميقة والبنية السطحية *Structure profonde et Structure superficielle*

إنّ أول من استعمل مصطلحي "البنية السطحية" و"البنية العميقة" هو تشالز هوكيت في مؤلفه الشهير "محاضرة في اللسانيات الحديثة". ولكن هذين المصطلحين لم يظهرهما عند تشومسكي بطريقة جليّة إلا في "ملاحم النظرية التركيبية" سنة 1965.

لقد وضع تشومسكي هذين المبدئين من أجل تيسير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة وفهم دلالتها. وكلاهما يشكل مفتاحًا من مفاتيح اللسانيات التوليدية، «فالبنية السطحية للجملة عبارة عن نظام مكون من

<sup>1</sup> - عبد القادر المهيري، محمد الشاوش وآخرون، أهم المدارس اللسانية، تونس: 1986، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، ص 85.

<sup>2</sup> - رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، تر: بدر الدين القاسم، سوريا: 1980، منشورات وزارة التعليم العالي، ص 138.



مقولات Catégories ومكونات تركيبية تكون برمتها مرتبطة مباشرة بالإشارة الفيزيقية إلى البنية العميقة التي تكون بدورها عبارة عن نظام من المقولات والمكونات التركيبية».

يُميّز تشومسكي بين البنية السطحية ويرى أنها «البنية الظاهرية المستخدمة في سياق ما في سلسلة أفقية من الكلمات، ذات سمات صوتية أو كتابية، وهي لذلك تحتوي على كلّ المكونات الفونولوجية اللازمة للتفسير الصوتي»<sup>2</sup>. هي الشكل الظاهري للجملة كما تصدر عن المتكلم أو تُسمَع من المستمع، أي التابع اللفظي للكلمات الذي نراه أو نسمعه. وتتشكل من خلال تطبيق قواعد التحويل على البنية العميقة، ما يؤدي إلى إنتاج تراكيب مختلفة تعبر عن نفس المعنى الأساسي، لكن بأساليب تعبيرية متنوعة.

أمّا البنية العميقة كما يراها تشومسكي «بنية مجردة مفترضة ينتجها الأساس وتحتوي على كل العلاقات النحوية، والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالاتها الممكنة»<sup>3</sup>، فهي تمثل المستوى الذهني للجملة، حيث تُخزّن في ذهن المتكلم قواعد اللغة التي تمكنه من بناء الجمل وفهمها، والمسؤولة عن تحديد العلاقات النحوية الجوهرية بين عناصر الجملة مثل الفاعل والمفعول به بغض النظر عن الترتيب الظاهري للكلمات.

ويؤكد تشومسكي أنّ البنية العميقة أساسية لفهم الكلام وإعطاءه التفسير الدلالي، وهي ضمنية تتمثل في ذهن المتكلم المستمع يعكسها التابع الكلامي المنطوق الذي يكوّن البنية السطحية<sup>4</sup>. من خلال التابع الكلامي المنطوق. بهذا المعنى، فإن البنية العميقة تُوفّر إطاراً ذهنياً يوجّه عملية إنتاج الجملة وفهمها، في حين تعبّر البنية السطحية عن الشكل الظاهر لهذا الإنتاج.

ومن أهم ميزات البنية العميقة أنها موحّدة ومشاركة بين جميع اللغات، يقول تشومسكي: «إنّ البنية العميقة التي تحدد المعنى... مشتركة بين كل اللغات، وذلك لأنها ليست سوى انعكاس لأشكال الفكر»<sup>5</sup>. تتسم البنية العميقة بجملة من الخصائص التي تجعلها محوراً أساسياً في بناء الجملة وفهمها، ومن أبرزها:

1. التكوين المولّد: تنشأ البنية العميقة في مرحلة التركيب من خلال قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية، ما يجعلها الأساس الذي تُبنى عليه الجملة.

1- نعوم تشومسكي، اللغة والعقل، تر: إبراهيم مشروح ومصطفى خلال، ط1. مراكش، دار تينمل، ص 42.

2- ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام ص 61.

3- محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، بيروت: 1998، دار النهضة العربية، ص 60.

4- ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ص 268.

5- chomsky, la linguistique cartésienne, p 64.

2. التفسير الدلالي: تعبر عن المعنى الأساسي للجملة، إذا تحددت العلاقات النحوية بين عناصرها، ما يوفر تفسيراً دلاليًا دقيقاً.
3. الخضوع للتحويل: تخضع البنية العميقة للعمليات التحويلية التي تسمح بتحويلها إلى بنية سطحية تعكس التراكيب الظاهرة في الكلام أو الكتابة.<sup>1</sup>

أما البنية السطحية، فهي تمثل الصورة الظاهرة للجملة كما تُستعمل في عملية التواصل، سواء شفويًا أو كتابيًا. وهي انعكاس للعمليات التحويلية التي تُجرى على البنية العميقة، وتختلف مظاهرها من لغة إلى أخرى وفقًا لنظام كل لغة وقواعدها.

ثالثًا: يفصل بوضوح شكل القواعد التوليدية والتحويلية، وتداخل المستويات الألسنية. فقواعد اللغة تقرر بين الأصوات والدلالات.

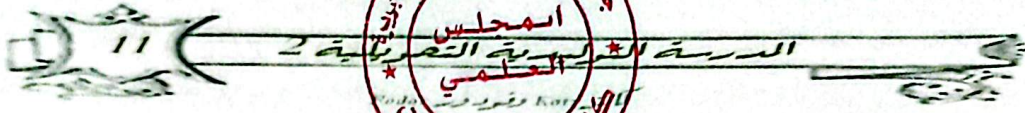
رابعًا: يعتبر تشومسكي أن المكونات الفونولوجية والدلالية تفسيران في حين أن المكون التركيبي مكون توليدي، ويشير إلى أن الحدود بين المستويين الدلالي والتركيبي غير واضحة تمام الوضوح. ويعتمد ضمن النظرية النموذجية المفاهيم الدلالية التفسيرية كما قد توسع بها "كارتز" و"فودر" و"بوستال".<sup>2</sup> وتسمى نظريته اللسانية بـ "النظرية النموذجية".

**المرحلة الثالثة:** بدأت هذه المرحلة بعد سنة 1970، تميزت بظهور نظريتين دلالتين تقاربان المعنى في اللغة الطبيعية، النظرية الدلالية التفسيرية لـ كارتز وفودر، والنظرية الدلالية التوليدية لـ ليكوف ومكاولي، وروس، وبوستال، ثم غروبر، والنظريتان لا تشكلان فقط تعديلا للجانب الدلالي، بل تسعيان أيضا إلى إعادة صياغة لكل نموذج لغوي.

وهكذا نكون قد تعرضنا لأهم التطورات التي مرت بها نظرية تشومسكي اللغوية بدءا بالنموذج الأول في "البنية التركيبية"، ثم النموذج الثاني في "مظاهر النظرية التركيبية"؛ فالنموذج الثالث الذي عرضه في "المعرفة اللغوية".

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر الفهري الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، الدار البيضاء: 1985، دار توبقال، ص 68.

<sup>2</sup> - ميشال زكريا، الألسنية الوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة)، ص 19.



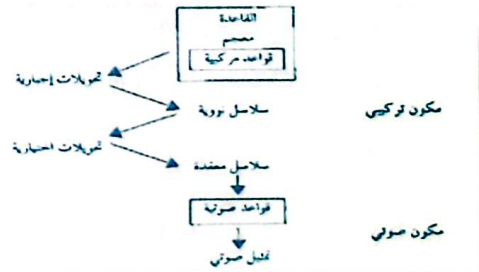
كاتز (Katz) وفودور (Fodor) هما من أبرز تلامذة نعوم تشومسكي الذين ساهموا في تطوير المدرسة التوليدية التحولية؛ خاصة في دمج الجانب الدلالي (علم الدلالة) مع الجانب التركيبي (النحوي) في اللغة. في عام 1963، قدما بحثاً مهماً بعنوان: بنية نظرية علم الدلالة (The Structure of Semantic Theory)، والذي جاء بعد أعمال تشومسكي في البنى التركيبية (1957) وكتاب "Aspects".

بعد ظهور كتاب تشومسكي "البنى التركيبية" عام (1957)، نموذجاً نحويًا يقوم على فكرة أن قدرة الإنسان على اكتساب اللغة تعود إلى نحو داخلي يستبطنه العقل البشري. وقد طرح تشومسكي أن قدرة البشر على توليد التراكم اللغوية ترجع إلى وجود مكونٍ تركيبى يمكنهم من إنتاج جمل سليمة نحويًا وفقًا لقواعد لغتهم، بحيث يعمل هذا المكون على توليد المتواليات النحوية الصحيحة واستبعاد غير الصحيحة منها. إلى جانب المكون التركيبى، يتضمّن النحو أيضًا مكونًا صوتيًا، يتمثل دوره في إسناد شكل صوتي مناسب لتلك المتواليات التي ينتجها المكون التركيبى، معتمدًا في ذلك على التمثيل الصوتي الخاص باللغة. بهذا التصور، قدّم تشومسكي رؤية متكاملة لكيفية تفاعل المكونات اللغوية لتوليد الجمل وفهماها.

وفي هذا السياق، أصدر كاتز وفودور سنة 1963 مقالاً بعنوان: "بنية النظرية الدلالية"، متسائلين بذلك عن كيفية تعامل القواعد التوليدية التحولية مع الظواهر الدلالية، وبالتالي عن مكانة الدلالة في هذه النظرية التشومسكية التي أهملت الدلالة إطلاقاً<sup>1</sup>. بمعنى أنّ التركيز على النموذج التركيبى (توليد البنيات اللغوية السليمة نحويًا وبلغى غيرها في اللغة) وحده يقصّي جانباً مهماً من فهم اللغة، وهو الجانب الدلالي، الأمر الذي استدعى إعادة النظر في موقع الدلالة ضمن النظرية التشومسكية.

وقد كانت بنية النحو منظمة عموماً على الشكل الآتي<sup>2</sup>:

وينبغي أن نلاحظ أنّ النموذج التوليدي التحولي في بداياته لم يتضمّن مكونًا خاصًا بالتأويل الدلالي للبنيات اللغوية التي يُنتجها المكون التركيبى، باعتباره جزءاً أساسياً (نسقيًا) في تحليل اللغة، والمعجم هو الذي يزوّد البنية التركيبية بالمعنى.



<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 249.

<sup>2</sup> - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط1. المغرب: 2000، دار توبقال للنشر، ص 60.



والجدير بالذكر «أن مهمة النحو تكمن، عند شومسكي (1957)، في توليد كل الجمل النحوية. وتقترن كل جملة بوصف بنيوي يبين كيف تأتلف الأجزاء المكونة لها، وتقوم القاعدة التحليلية بإعادة النظر في رتب هذه الأجزاء أو حذف بعضها. ويتم التمييز بين تحويلات إجبارية خرجها سلاسل نووية، وتحويلات اختيارية خرجها سلاسل معقدة. مثال الأولى تحويل التطابق، ومثال الثانية تحويل الصلة». تعكس هذه التحويلات القدرة الإبداعية للعقل البشري على إنتاج عدد غير محدود من التراكيب انطلاقاً من قواعد محدودة.

ويرى كاتز وفودور «أن وجود مكوّن تركيبى قائم بذاته يعدّ شيئاً مفروغاً منه؛ لأنه يحدّد البنية التركيبية والمضمون المعجمي لكل جملة في اللغة. وعليه فإن مهمة النظرية الدلالية تتمثل في:

(أ) تحديد معاني الوحدات المعجمية.

(ب) تزويد قواعد تكرارية تعمل على البنى التركيبية لبناء معاني المركبات (Phrases) والجمل من خلال معاني الوحدات المعجمية (Lexical items)»<sup>2</sup>.

من خلال هذا الطرح، يؤكد كاتز وفودور على أن البنية التركيبية لا تقتصر فقط على ترتيب الكلمات، بل تُعدّ إطاراً يحمل في طياته دلالات تُستخلص عبر عمليات دقيقة داخل النظام اللغوي. فالمكوّن التركيبى يضع الأساس البنوي للجملة، بينما تتكفل القواعد الدلالية بتفسير هذا الأساس، عبر ربط المعاني الجزئية للوحدات المعجمية بالمعاني الكلية الناتجة عن تركيبها في سياق معين. وبذلك، تسهم النظرية الدلالية في سدّ الفجوة التي خلفتها النماذج السابقة، حيث لم يكن للمعنى موقع واضح ضمن عملية التحليل اللغوي. فكاتز وفودور يضعان المعجم وقواعده في قلب العملية التفسيرية، معتبرين أن أي تحليل لغوي لا يكتمل إلا باستجلاء المعنى الكامن في البناء التركيبى.

ولئن كانت النظرية التفسيرية الأولى ظهرت سنة 1963 «تقضي بأن البنى التركيبية السطحية تكوّن المدخل الخاص بقواعد الإسقاط للمكوّن الدلالي، فإن كاتز وبوسطل ذهبا في مؤلفهما الصادر عام 1964 الموسوم بـ "النظرية التأليفية للوصف اللغوي" إلى أنّ البنية التركيبية العميقة هي التي ينبغي تفسيرها دلاليًا لأنّ التحويل التركيبى لا يغيّر من معنى البنية، وأنّ البنية العميقة نفسها لا تتحوّل أبداً إلى جملتين مترادفتين»<sup>3</sup>. والسؤال المطروح لماذا يسند التأويل الدلالي في البنية العميقة؟

يمكن أن نلاحظ «أنّ التحويلات في النظرية الدلالية لا تغير معنى المتوالية (نعني المعنى العميق) المولدة في البنية العميقة. وإذا كانت التحويلات، باعتبارها حلقة وصل بين البنية العميقة والبنية

<sup>1</sup> - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 60.

<sup>2</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 249.

<sup>3</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور المرجع نفسه، ص 249.



السطحية، لا تغير المعنى، فمعنى ذلك أن التأويل الدلالي يمتد إلى البنية العميقة وليس البنية السطحية؛ أي أن التأويل الدلالي يسند قبل انطباق التحويلات. من البنية التحويلية ما يعرف بتحويل البناء للمجهول، إذ تعد الجملة (ضرب زيد) مشتقة من البنية المبنية للمعلوم (ضرب س زيدا)، حيث (س) مجهول. فهاتان الجملتان المرتبطتان بقاعدة تحويلية ترجعان إلى بنية دلالية واحدة رغم أن الأولى مبنية لمجهول والثانية للمعلوم؛ أي رغم إختلافهما سطحاً<sup>1</sup>. فالتأويل الدلالي ينسب إلى البنية العميقة لأن هذه البنية تحتفظ بالمعنى الأصلي للجملة قبل خضوعها للتحويلات. فحتى إذا تغيرت البنية السطحية عبر عمليات مثل: المبني للمجهول أو تقديم المفعول به، فإن البنية العميقة تظل المصدر الأساسي لفهم المعنى.

مثال 1: المبني للمجهول

الجملة المبنية للمعلوم: أكل الطفل التفاحة.

في هذه الجملة:

- الفاعل: الطفل.
- الفعل: أكل.
- المفعول به: التفاحة.

البنية العميقة هنا تعبر عن العلاقة الدلالية الأساسية:

- "الطفل" هو من قام بفعل الأكل.
- "التفاحة" هي الشيء الذي وقع عليه الفعل.

إذا طبقنا قاعدة المبني للمجهول:

- تتحول الجملة إلى:
- "أُكِلَت التفاحة" (من قِبَل الطفل).

في هذه الحالة:

- الفاعل المنطقي (الطفل) اختفى أو أصبح مذكوراً بشكل اختياري في عبارة "من قِبَل الطفل".
- المفعول به الأصلي (التفاحة) أصبح نائب فاعل في البنية السطحية.

لكن من منظور البنية العميقة:

- ما زالت العلاقة الأصلية قائمة: الطفل هو من قام بالفعل، والتفاحة هي ما وقع عليها الفعل.
  - التأويل الدلالي لم يتغير، لأن الحدث الأساسي ما زال يتمثل في قيام الطفل بأكل التفاحة.
- هذا يوضح أن البنية العميقة تحتفظ بالمعنى الأصلي للعلاقات النحوية، حتى لو تغيرت البنية السطحية من خلال عمليات تحويلية.

<sup>1</sup> - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى علم الدلالة الحديث، ص 73.



مثال 2: تقديم المفعول به: (المبتنية للمعلوم): شرح الأستاذ الدرس بوضوح.

في هذه الجملة:

- الفاعل: الأستاذ.
- الفعل: شرح.
- المفعول به: الدرس.

البنية العميقة تعبر عن العلاقة الأساسية:

- "الأستاذ" هو القائم بالفعل (الشرح)
- "الدرس" هو ما وقع عليه الفعل.

عند تقديم المفعول به تتحول الجملة إلى: الدرس شرحة الأستاذ بوضوح .

في هذه الحالة:

- تمّ تقديم "الدرس" إلى مقدمة الجملة بهدف إبراز أهميته أو التركيز عليه.
  - رغم تغير ترتيب الكلمات في البنية السطحية، فإن البنية العميقة تبقى ثابتة، حيث العلاقة الدلالية الأصلية تظل كما هي: "الأستاذ" هو الذي قام بالشرح و"الدرس" هو ما تم شرحه.
- هذا يؤكد أنّ التغيير الذي حصل على المستوى السطحي لم يؤثر في التفسير الدلالي، الذي يبقى معتمداً على البنية العميقة، مما يثبت أنّ التأويل الدلالي يعتمد على البنية العميقة، وليس على الترتيب الظاهري للكلمات.

ويقول فودور بشأن هذه النظرية: «إنّ المزواجيات بين الوحدات المعجمية وتمثيلات الدلالية تكوّن معجم ... اللغة، وكلّ مدخل معجمي.... يحتوي على قراءة أو أكثر، حيث تمثّل كلّ قراءة معنى من معاني الوحدة المعجمية. والقواعد التكرارية التي تبني قراءات مكوناتها تدعى قواعد الإسقاط. وتقوم هذه القواعد بإسقاط القراءات الصرفية على قراءات المركبات والجمال مفسرة بذلك قدرة الناطقين باللغة الأم على إسقاط معرفتهم الخاصة بمعاني المجموعة المتناهية من الجمل التي صادفوها من خلال العدد غير المتناهي من الجمل الممكنة في اللغة»<sup>1</sup> يرى فودور أنّ العلاقة بين الكلمات ومعانيها تشكّل ما يُعرف بـ "المعجم اللغوي"، حيث تحمل كل كلمة مدخلاً معجمياً قد يتضمن معاني متعددة تُعرف بالقراءات. وتقوم "قواعد الإسقاط" بربط هذه المعاني بالسياقات المختلفة في الجمل، ما يفسر قدرة المتحدثين الأصليين على فهم عدد غير محدود من الجمل بناءً على معرفتهم السابقة بعدد محدود من التراكيب.

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 250.

فالمعجم، باعتباره حاملا لدلالات الألفاظ، يلجأ إلى إظهاره في البناء التركيبي كي نحصل على تأويل مناسب للمتوالي اللغوية، مع العلم أن القراءات قد تتعدده. ونعطي هنا بعض الأمثلة:

مثلا: كلمة "عين" في اللغة العربية، نموذجاً لتوضيح تعدد القراءات في المدخل المعجمي، وما يتبعه من إسقاط دلالي ضمن البنية التركيبية. ف"عين" لفظ متعدد الدلالات بحسب السياق التركيبي الذي ترد فيه، مما يعكس آلية القيد الانتقائي في اختيار القراءة الأنسب من المعجم.

فهي تمتلك قراءات متعددة:

- ✓ في جملة "رأيت عين الماء تتدفق" تعني "تبع الماء."
- ✓ في جملة "أغمض عينه لينام" تعني "عضو البصر."
- ✓ في جملة "عين المدير موظفاً جديداً" تعني "اختار أو وظف."

هنا، تقوم قواعد الإسقاط بتحديد المعنى الأنسب بناءً على السياق، مما يسمح للمتحدث بفهم الاستخدام الصحيح في كل حالة.

وهكذا، فإن المدخل المعجمي لا يقدم فقط قائمة بالمعاني، بل يتضمن شروطاً شكلية ودلالية تقيد كيفية تفاعل تلك المعاني مع التراكيب المختلفة، وهو ما يعكس عمق النظرية التوليدية التحويلية في معالجة اللغة.

ولذا ينبغي أن تتضمن كل قراءة من قراءات المدخل المعجمي «قيداً انتقائياً، وهو الصياغة الصورية للشروط الضرورية والكافية التي تحدد ضم القراءة المقصودة إلى قراءات أخرى للوحدات المعجمية. فالقيد الانتقائي الذي يرافق قراءة معينة هو الذي يحدد تراكيبها الممكنة مع قراءات وحدات معجمية أخرى تساقها عند انطباق قواعد الإسقاط»<sup>1</sup> فالقيود الانتقائية تعمل على ضبط العلاقات الدلالية بين الكلمات، ما يسهم في بناء جمل ذات معنى مقبول وفقاً للنظام اللغوي.

وعلى هذا الأساس يتضمن المدخل المعجمي، في نظرية كاتز عدداً محدوداً من المتواليات التي تمثل الأبعاد المختلفة للوحدة المعجمية في ذهن المتكلم، وتتشكل كل متوالية تبعاً للنظام الآتي:

- ✓ متوالية فرعية من السمات التركيبية؛ تحدد الوظيفة النحوية للكلمة (مثل: اسم، فعل، مفعول به...).
- ✓ متوالية فرعية من السمات الدلالية؛ تعبر عن المعنى الذي تحمله الكلمة.
- ✓ مميزات distinguishers؛ تفرق بين المعاني المتعددة للكلمة الواحدة.
- ✓ قيود انتقائية؛ تضبط التراكيب الممكنة للكلمة مع كلمات أخرى، لضمان التوافق الدلالي والنحوي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد المجيد جعفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط1. المغرب: 2000، دار توبقال للنشر ص 76.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 74.

فالمدخل المعجمي في نظرية كاتز ليس مجرد كلمة بل بنية معقدة تجمع بين الشكل والمعنى والسياق، وتعدّ هذه البنية ضرورية لفهم كيف تنتج العقل السليمة لغويًا ودلاليًا في ذهن المتكلم. وعليه، فإنّ السمات الدلالية والمميّزات تكوّن المعجم الذي يؤلّف معناه كلّ القراءات التي تنسب إلى المفردة المراد تأويلها. ويقال: «إنّ المميّز لوحدة معجمية في القراءة يستهدف إظهار المعنى الخاص بهذه الوحدة»<sup>1</sup>. وتكمن أهمية هذا المفهوم في أنّه يسمح للنظرية اللسانية بأن تتعامل مع اللغة ليس فقط كأصوات وقواعد، بل أيضًا كنظام دلالي معقد يُعالج تعدد المعاني ويفكك تشابكها بشكل منهجي. وهو ما يعزز الربط بين المعجم والبنية التركيبية، ويمنح التأويل اللغوي اللازم.

وقد أعاد كاتز النظر في هذا التعريف الخاص بالميّز سنة 1972 في قوله: «تقوم المميّزات بالتمييز بين الوحدات المعجمية التي قد تكون مترادفة تمامًا، وعلى عكس السمات الأسلوبية التي تمثّل مكونات مفاهيمية لمعاني الوحدات المعجمية والعبارات، فإنّ المميّزات هي الاختلافات المدركة بالحواس والمرتبطة بمراجع referents المعاني التي تتماثل من الناحية المفاهيمية»<sup>2</sup>. فالمميّزات هي عناصر دلالية تُستخدم لتمييز الوحدات المعجمية التي قد تبدو مترادفة من حيث المعنى المفاهيمي، لكنها تختلف في المرجع المحسوس أو في طريقة إدراكها بالحواس. وهي تختلف عن السمات الأسلوبية التي تعبّر عن البعد المفاهيمي أو السياقي للكلمات داخل الاستعمال اللغوي.

أما التمييز بين السمات الدلالية والمميّزات فقد ظهر لأول مرّة عند كاتز وفودور سنة 1963 حيث أوضح أنّ السمات الدلالية هي: «العناصر التي تعبّر عن العلاقات الدلالية في النظرية... والغرض من السمات الدلالية التي تلحق بوحدة معجمية في مدخل معجمي هو إظهار العلاقات النظامية التي تربط هذه الوحدة ببقية مفردات اللغة. ومن جهة أخرى، فالمميّزات التي تلحق بأية وحدة معجمية تستهدف إظهار المعنى الخاص بهذه الوحدة»<sup>3</sup>. بناءً على هذا التمييز، يمكن القول إنّ السمات الدلالية تُستخدم لتوضيح كيف تتصل الكلمة ببقية مفردات اللغة على نحو منظم ومنهجي داخل المعجم أما المميّزات، فهي تُسلط الضوء على الفروق الدقيقة والخاصة التي تُميّز كل كلمة عن الأخرى حتى في حالة الترادف الظاهري. وبهذا، يساهم كلّ من السمات والمميّزات في بناء فهم دقيق وشامل لمعاني الكلمات ضمن النظرية الدلالية.

ومثال عن هذا التمييز بين السمات الدلالية والمميّزات المدخل المعجمي لكلمة (عين) كما يمثله الشكل

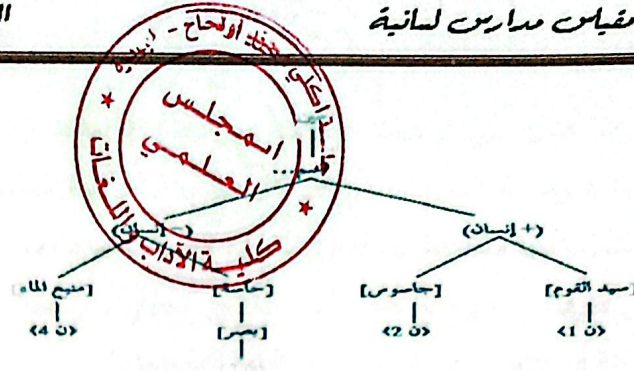
الآتي:<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 250.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 250.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 250.

<sup>4</sup> - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 74.



تعدّ العناصر الموجودة بين قوسين (...) سمات دلالية والعناصر الموجودة بين معقوفين [...] مميّزات. وأخيرًا هناك القيود الانتقائية الموجودة بين زاويتين (ن 1... ن 4). وتتمثل «مهمة هذه القيود تحديد ما يشترطه المحمول في المفردات التي تساوقه. إنَّ للمحمول موضوعات، وهذه الموضوعات يجب أن تستجيب لما يشترطه المحمول فيها. فالفعل "شرب" يُشترط في فاعله أن يكون [+حي]، ولذلك لا يمكن أن نقول "شرب المصباح كذا". كما يشترط هذا المحمول في مفعوله أن يكون [+سائل] و [+شروب]، ولذلك لا يمكن أن نقول "شرب زيد ترابًا".

والصفة "أزرق" تشترط في موضوعها (أي ما يحمل اللون "أزرق") أن يكون [+مادي]. ويشترط الحرف بدوره بعض القيود في الموضوع الذي يتعدى إليه، فالحرف "على" مثلًا يشترط أن يكون موضوعه عبارة عن مساحة مسطحة أو متصورًا كذلك.

و الحرف "في" يشترط في موضوعه أن يكون مساحة ذات حدود... إلخ. ويستفاد من هذا أنّ هذه القيود تمنع متكلم اللّغة من إنتاج جمل شاذة أو منحرفة من النّاحية الدلالية»<sup>1</sup>.

فالقيود الانتقائية هي شروط دلالية يفرضها المحمول (كالفاعل أو الصفة أو الحرف) على العناصر المرتبطة به، بهدف ضمان التوافق المعنوي في الجملة. وهي تمنع تكوين تراكيب شاذة دلاليًا، حتى إن كانت صحيحة نحويًا.

كما توضح نظرية كاتز أنه «يمكن أن نعبر عن الخصائص العامّة، التي تُفترض أنّها موجودة في كلّ اللغات، داخل المكون الدلالي بفضل السمات الدلالية، أمّا المميّزات فتسمح بتحديد ماهو خاص في معنى وحدة معجمية معينة. فالمميّزات تفصل بين وحدات معجمية متقاربة من حيث معناها (أي مشتركة في عدد من السمات الدلالية)، السمات الدلالية المتضمنة في قراءة وحدة معجمية فتتضمنها قراءات وحدات معجمية كثيرة»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 62.

<sup>2</sup> - عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 76.

بناءً على ذلك، يمكننا التمييز بين الوحدات المعجمية ليس فقط وفقاً لما تتشاركه من خصائص دلالية، ولكن أيضاً بناءً على ما تميزها به المميزات. في حين أن السمات الدلالية تساهم في تصنيف المعاني الأساسية والشائعة التي تشترك فيها مجموعة من المفردات، فإن المميزات تحدد الاختلافات الدقيقة التي تميز وحدة معجمية معينة عن غيرها. وهذا يوضح كيف يمكن للغة أن تحتوي على مستويات متعددة من التفسير والمعنى، مما يسمح بمرونة في التعبير عن المفاهيم عبر البنية المعجمية.

فالمميزات في النظرية الدلالية لا تعمل فقط على تمييز الوحدات المعجمية المتقاربة من حيث المعنى، بل تسهم أيضاً في تحديد الخصائص الدقيقة التي تفصل بينها. على سبيل المثال، قد تتشابه بعض الكلمات من حيث السمات الدلالية العامة (مثل: كتاب' و'ليل' في بعض السياقات)، ولكن المميزات تفصل بينهما في معانيهما الدقيقة، مثل 'الكتاب' الذي يشير إلى عمل مكتوب يحتوي على نصوص كاملة، بينما 'الليل' قد يكون مرشداً أو نصاً يوجه القارئ إلى شيء معين. وبذلك، نتيح لنا المميزات فهم المعنى المحدد للوحدة المعجمية في سياق معين، مما يساعد على بناء تفسيرات دقيقة وواضحة للنصوص التي تحتوي على مفردات قد تتشابه في دلالتها ولكنها تختلف في استخداماتها الخاصة. فالجمع بين السمات الدلالية والمميزات يسهم في إبراز التنوع اللغوي، وبتيح للمتكلمين القدرة على فهم واستخدام اللغة بطريقة أكثر مرونة وتكيفاً مع المتغيرات السياقية.



نظرية النحو الوظيفي التي أرسى دعائمها سيمون ديك مع مجموعة من الباحثين لم تكن نظرية منفردة في الاتجاه الوظيفي، بل سبقتها مدارس ونظريات متعددة. أسس لبزوغ هذا الاتجاه، وتتفق هذه النظريات على أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية التبليغية، وأن البنى الصرفية والتركيبية والدلالية تخضع للوظائف التي تؤديها في المجتمعات البشرية.

وتعود بدايات الاهتمام بالاتجاه النحوي الوظيفي إلى مدرسة براغ، التي تأسست عام 1926 على يد العالم التشيكي فيلام ماثيسوس، وضمت مجموعة من العلماء مثل نيكولاي تروباتسكوي، رومان جاكبسون، وكريسيفسكي. وقد طورت هذه المدرسة نظرية الوجهة الوظيفية للجملة، حيث ركزت على دراسة اللغة بوصفها نظامًا وظيفيًا من العلامات يحقق التواصل، مع دمج البنية اللغوية والمعنى، خلافاً للبنى السوسيرية التي كانت تركز على الشكل فقط. وقد تجاوزت المدرسة مقولة دي سوسير بأن اللغة "نظام من العلامات" إلى اعتبارها "نظام من الوظائف".

مدرسة براغ اعتبرت اللغة ظاهرة اجتماعية ووظيفية، وأكدت أن البنى النحوية والصرفية والدلالية تتحدد بوظائفها في المجتمع، مما جعلها تمثل نقطة تحول في الفكر اللساني، ومهدت لنشوء النحو الوظيفي الحديث الذي طوره سيمون ديك وغيره لاحقاً<sup>1</sup>.

اتجه بعض رواد مدرسة لندن إلى دراسة الاتجاه الوظيفي متأثرين بمدرسة براغ، وكان جون ر. فيرث أبرز هؤلاء الباحثين حيث اهتم بدراسة مفهوم السياق (context) وأسس نظرية السياق التي تعد نواة للنحو النسقي (Systemic Grammar). وقد طور هذه النظرية من بعده تلاميذه مثل مايكل هاليداي وريد هادسون، اللذين عمقا الدراسة الوظيفية للغة ووسعا تطبيقاتها لتشمل التحليل التركيبي والنحوي، وليس فقط الدراسة الصوتية والفونولوجية.

تُعرف مدرسة لندن أيضاً بالمدرسة السياقية، حيث ترى أن فهم المعنى لا يمكن فصله عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي تُستخدم فيه اللغة. واعتبرت اللغة نظامًا وظيفيًا يرتبط بوظائف اجتماعية متعددة، معتمدة على دراسة الظروف المحيطة بالحدث اللغوي، مثل المشاركين فيه والعوامل البيئية.

<sup>1</sup> - مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جفري سامسون 107، واللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأمس النظرية والمنهجية، مصطفى غلفان: 252.

وبذلك، تمثل مدرسة لندن استمرارًا وتطويرًا لأفكار مدرسة براغ، مع التركيز خاص على دور السياق والوظيفة الاجتماعية للغة، وأسهمت في تأسيس نظرية النحو النحوي التي تُعد من أبرز النظريات الوظيفية في اللسانيات الحديثة.

وتكاملت الأفكار الوظيفية لمدرسة براغ في شرق أوروبا، ومدرسة لندن في غربها، وأصبح هناك نظريتان نحويتان وظيفيتان، تقابل النظريات النحوية البنوية من جهة، ومسيطر على الدراسات النحوية الوظيفية إلى نهاية السبعينيات من جهة أخرى، وهي لا تزال مؤثرة في النظريات النحوية الوظيفية التي ظهرت بعدهما؛ لا سيما نظرية ديك<sup>1</sup>.

في أواخر خمسينيات القرن الماضي، انتقلت الأفكار الوظيفية إلى أمريكا بعد انتشارها الواسع في أوروبا، وزامن ذلك انتشار النظرية التوليدية التحويلية، مما أدى إلى صراع بين الاتجاهين. في ظل هذا الصراع، تعزز الاتجاه الوظيفي من خلال نظريتين نحويتين وظيفيتين بارزتين هما :

1. نظرية التركيب الوظيفي التي اقترحها فان فالين وفولي (Van Valin & Foley) ظهرت في نهاية السبعينيات، وتركز على أن إنتاج الجملة يخضع لبنى متعددة تشمل البنية الدلالية، والبنية التداولية، والبنية التركيبية والصرفية. فهي:

- تؤكد أن البنية اللغوية تعكس الوظيفة التواصلية، حيث تحدد وظائف اللغة الخصائص البنوية مثل الصرف والتركيب.
- تعتمد على مفهوم الأدوار الدلالية، مثل "دور العامل" (الفاعل أو المنفذ للحدث) و"دور المحتمل" (المتأثر بالحدث)، وتقسم الجملة إلى نواة (المحمول) وصلب (المحليات) وهامش (ظروف الحدث والمشاركين الثانويين).
- تدمج البنية التداولية ضمن نموذجها، مما يسمح بتحليل الوظائف التواصلية ضمن التركيب اللغوي، وتتفاد القيود التي فرضتها النظرية التوليدية التحويلية.

2. نظرية النحو الوظيفي سيمون ديك (Simon Dik)

تعتبر امتدادًا وتطويرًا للنظريات الوظيفية السابقة، وتهدف إلى دمج التركيب والدلالة من منظور تداولي. كما تؤكد على أن اللغة وسيلة للتواصل ضمن سياقات محددة، ويجب أن يعكس التحليل اللغوي هذه الوظائف التداولية، مع ربط البنية النحوية بالسياق الاجتماعي والثقافي.

<sup>1</sup> - جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 185.



يمكن تصنيف النظريات الوظيفية المتقدمة إلى صنفين رئيسيين: **الصنف الأول**: نظريات أسست ابتداءً تأسيساً وظيفياً مستقلاً، وتشمل نظرية الوجهة الوظيفية، ونظرية النحو النسقي، ونظرية التركيب الوظيفي، بالإضافة إلى نظرية النحو الوظيفي التي ستكون موضوع دراستنا. هذه النظريات انطلقت من منطلق وظيفي بحت، وركزت على دراسة اللغة من منظور الوظيفة التواصلية والبنية اللغوية في آن واحد.

**الصنف الثاني**: نظريات تأسست داخل إطار نماذج نظرية النحو التوليدي التحولي، لكنها اتخذت منحى وظيفياً في تفسير الظواهر اللغوية، ومن أبرزها نظريتا البراكامانتاكس (Bracketing Syntax) ونظرية التركيبات الوظيفية (Functional Syntax).

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه النظريات الوظيفية لا تزال نشطة ومتجددة في الحقل اللساني، مثل: النسقية الوظيفية، والتركيبات الوظيفية، ونظرية النحو الوظيفي، التي تستمر في التطور والتحديث. في المقابل، توقفت بعض النظريات الأخرى عن التطور، ومن أبرزها نظرية الوجهة الوظيفية للجملة.

هذا التصنيف يعكس التنوع والتداخل بين المناهج الوظيفية في دراسة اللغة، حيث تتباين النظريات بين تلك التي انطلقت من منطلق وظيفي مستقل، وتلك التي وظفت المنهج التوليدي التحولي مع إضافة أبعاد وظيفية، مما يثري الحقل اللساني ويتيح فهماً أعمق للغة من حيث بنيتها ووظيفتها في التواصل.

تظلّ النظريات التي اتخذت المنحى الوظيفي حاضرة في الحقل اللساني، مستمرة في التطور والتجديد، ومن أبرز هذه النظريات: النسقية الوظيفية، والتركيبات الوظيفية، بالإضافة إلى نظرية النحو الوظيفي، والتي تواصل إثراء البحث اللساني بإضافة رؤى ومقاربات جديدة.

في المقابل، شهدت بعض النظريات الوظيفية الأخرى توقفاً في مسار تطورها، مثل نظرية الوجهة الوظيفية للجملة، التي لم تعد تشهد تطورات أو إضافات ملحوظة في الوقت الراهن. هذا التباين في مستويات التطور يعكس الدينامية المتجددة للحقل اللساني وتعدد الاتجاهات البحثية ضمن المنحى الوظيفي، مما يدل على حيوية هذا المجال العلمي وقدرته على استيعاب الأفكار الجديدة وتطويرها فضلاً عن وجود نظريات تستقر عند حدود معينة بعد مرحلة من البحث.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ط2. بيروت: 2010، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 30.

ويُعد المنحى الوظيفي امتدادًا طبيعيًا للبنوية السوسينية، حيث أُضيف بعدًا وظيفيًا يُعنى بدراسة اللغة بوصفها أداة تواصلية تُخدم وظائف اجتماعية متعددة، وهو ما ميّز مدرسة براغ الوظيفية التي جمعت بين البنية والوظيفة، فكانت بمثابة تطور مهم في تاريخ اللسانيات الحديثة. هذا المنحى يركز على فهم اللغة من خلال الوظائف التي تؤديها في المجتمع، ويعطي أهمية متزايدة للعلاقة بين الشكل والمعنى، ما يجعل اللسانيات الوظيفية مجالًا متجددًا في الدراسات اللغوية الحديثة.

تعدّ نظرية التركيب الوظيفي ونظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك هما من أهم النظريات الوظيفية التي عززت الاتجاه الوظيفي في النحو، من خلال ربط البنية اللغوية بالوظائف التواصلية والتداولية، وتوسيع نطاق التحليل من الجملة إلى النص والخطاب ضمن سياقات اجتماعية وثقافية.

وتتميز نظرية النحو الوظيفي بمرحلتين رئيسيتين في تطورها العلمي. المرحلة الأولى تمثلت في نموذج الجملة Functional Grammar الذي قدمه الباحث الهولندي سيمون ديك عام 1978 من خلال كتابه "النحو الوظيفي"، حيث وضع الأسس النظرية والمنهجية لهذه النظرية، وركز على دراسة الجملة باعتبارها وحدة أساسية في التواصل اللغوي. خلال هذه المرحلة، التي يُطلق عليها مرحلة "ما قبل النموذج المعياري"، أجريت العديد من الأبحاث التي ساهمت في تطوير الفكرة وتوسيع نطاقها حتى عام 1988.

أما المرحلة الثانية، فبدأت عام 1989 مع صدور كتاب ديك "The Theory of Functional Grammar"، حيث انتقل البحث من دراسة الجملة إلى دراسة النص باعتباره الوحدة الأكبر للتواصل، متجاوزًا بذلك حدود المعجم والتركيب والدلالة والتداول إلى مجالات جديدة مثل الترجمة والحوسبة. هذه المرحلة فتحت آفاقًا جديدة للبحث، وأجريت دراسات متعددة استكشفت مفاهيم النموذج النصي ووسعته.

بعد ذلك، تطورت النظرية إلى ما يُعرف بمرحلة "ما بعد النموذج المعياري"، حيث صيغت أربعة

نماذج رئيسية:

1. النحو الوظيفي الموسع (ماكنزي، 1998)
2. النموذج المعجمي الوظيفي (مجموعة مدريد)
3. النحو الوظيفي القالبي متعدد الطبقات (أحمد المتوكل، 2003)
4. نحو الخطاب الوظيفي (هنغفلد، 2004).

وقد تُبقت هذه النماذج على لغات متنوعة تنتمي إلى فصائل نمطية مختلفة، مثل الهولندية والإنجليزية والعربية، مما أسهم في إثراء النظرية وتوسيع انتشارها جغرافيًا من أمستردام إلى بلجيكا، مدريد، الرباط، لندن، الدنمارك، وأمريكا.

دخلت النظرية العالم العربي عبر بوابة المغرب، حيث اهتم اللساني أحمد المتوكل في جامعة محمد الخامس بالرباط مسازا أكاديميًا وبحثيًا في التداوليات واللسانيات الوظيفية، ونشر العديد من الدراسات، وعقد ندوات دولية ساهمت في نقل النظرية إلى بلدان عربية أخرى مثل الجزائر وتونس ومكوريا والعراق.<sup>1</sup>

تميزت مرحلة التعديلات التي أدخلها المتوكل وزملاؤه بالدعوة إلى نحو وظيفي موحد، يهدف إلى توحيد الآليات الوصفية والتفسيرية لأقسام الخطاب في لغات مختلفة نمطيًا، ويمتد أيضًا إلى وصف الأنظمة التبليغية غير اللغوية مثل الرسم والموسيقى والسينما. وبفضل هذه الجهود، أصبحت نظرية النحو الوظيفي الوريث الشرعي للنظريات النحوية الوظيفية السابقة، وتطمح منذ الثمانينيات إلى أن تكون بديلاً متكاملًا للنظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها.<sup>2</sup>

باختصار، تطور النحو الوظيفي يعكس انتقالاً من دراسة الجملة كوحدة لغوية إلى دراسة النص كوحدة تواصلية شاملة، مع توسع في مجالات التطبيق والتخصص، وتوحيد منهجي يربط بين اللغات المختلفة والأنظمة التبليغية المتنوعة، مما جعلها واحدة من النظريات اللغوية الرائدة في العصر الحديث.

#### موضوع نظرية النحو الوظيفي:

نظرية النحو الوظيفي هي نظرية لغوية تهدف إلى دراسة اللغة كنظام وظيفي يحقق التواصل بين المتكلمين، حيث تصف القدرة التبليغية للمتكلم والمستمع، أي القدرة التواصلية التي تتجاوز الجانب النحوي التقليدي لتشمل الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية للكلمات والعبارات داخل الجملة. غير أن هذه النظرية لا تقتصر على وصف القدرة التواصلية وحدها، بل توسعت لتأخذ في الاعتبار طاقات ومعارف أخرى تتجاوز المعرفة اللغوية النحوية فقط.<sup>3</sup> فهي تعتمد على نموذج لمستعمل اللغة الطبيعية، حيث لا يتم التواصل بين مستخدم اللغة إلا عبر الخطابات، التي تتطلب قدرة تواصلية متكاملة تتضمن مجموعة من الملكات، منها المعرفية، واللغوية، والإدراكية، والمنطقية، والاجتماعية. ولا يمكن للنظرية أن تصل إلى مستوى التكامل والكفاءة الشاملة إلا إذا رصدت هذه الملكات جميعها، ولم تكتفِ بالملكة اللغوية وحدها. فالملكة اللغوية هي التي تمكن مستعمل اللغة من إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل في مواقف تواصلية متعددة، اعتمادًا على معرفته بمعجمه الصوتي والصرفي والتركيبية، وهي حاضرة دائمًا في عملية التواصل. أما الملكات الأخرى، مثل الملكة الاجتماعية التي تضبط وضع السلطة والعلاقات الاجتماعية أثناء التواصل، والملكة المنطقية التي

<sup>1</sup> - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ط1. الرباط: 2006، دار الأمان، ص 63/59.

<sup>2</sup> - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص 60-62.

<sup>3</sup> - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص 45.



تسمح باشتقاق معانٍ إضافية عبر قواعد الاستدلال، فهي تُستدعى عند الحاجة لتعزيز الفهم وتحقيق التواصل الفعال.

فالملكة اللغوية الأساس الذي يمكن مستعمل اللغة من إنتاج عدد لا يحصى من الجمل في سياقات تواصلية متعددة، وذلك بفضل معرفته المتكاملة بلغته من حيث المعجم، والنحوت، والصرف، والتركييب، وهي الملكة الحاضرة دومًا في كل عملية تواصل لغوي. أما الملكات الأخرى، فهي تُستدعى عند الحاجة لتعزيز الفهم وتحقيق التواصل الفعال، ومن أبرزها:

- الملكة الاجتماعية: تمكن مستعمل اللغة من ضبط وضع مخاطبه الاجتماعي، وفهم طبيعة العلاقات المتبادلة بينهما خلال عملية التواصل، مما يتيح له اختيار الأسلوب والعبارة الملائمة للموقف.
- الملكة المنطقية: تسمح لمستعمل اللغة باشتقاق معارف إضافية من المعارف المتوفرة لديه، عبر قواعد الاستدلال المنطقي، سواء الاستنباطي أو الاحتمالي، مما يعزز قدرة المتكلم على التعبير عن أفكار مركبة ودقيقة.
- الملكة الإدراكية: تتيح لمستعمل اللغة استخدام المعارف التي يستقيها من مواقف التواصل نفسها، سواء من البيئة المحيطة أو من السياق، في إنتاج وفهم العبارات والجمل اللغوية، مما يثري التفاعل اللغوي ويجعله أكثر مرونة وواقعية.
- الملكة المعرفية: تمكن مستعمل اللغة من تكوين مخزون منظم من المعارف اللغوية وغير اللغوية، واستخدام هذا المخزون في إنتاج وتفسير وفهم المزيد من العبارات والجمل، مما يوسع من دائرة الفهم والتواصل.

بهذا التوزيع المتكامل للملكات، تتجاوز القدرة التواصلية في النحو الوظيفي حدود المعرفة النحوية الصرفة لتشمل أبعادًا معرفية واجتماعية ومنطقية وإدراكية، مما يجعل اللغة أداة تواصلية حيّة وفعالة في مختلف المواقف.<sup>1</sup>

#### مبادئ النحو الوظيفي

تقوم مبادئ النحو الوظيفي على مجموعة أسس منهجية عامة تهدف إلى دراسة اللغة كنظام وظيفي يحقق التواصل بين المتكلمين، ويمكن تلخيصها كما يلي:

3 - ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1. بيروت: 2010، الدار

العربية للعلوم ناشرون.



- ✓ وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل: فاللغة تُعتبر أداة للتبليغ والتواصل، تُشكل ما لا يحقق هذا الدور يكون خارج نطاق الدراسة النحوية الوظيفية.
  - ✓ موضوع الدراسة هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب: أي دراسة كيفية إنتاج وفهم العبارات والجمل في سياقات تواصلية مختلفة، مع التركيز على الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية التي تؤديها الكلمات والعبارات داخل الجملة.
  - ✓ النحو الوظيفي هو نظرية للتركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية: لا يقتصر على وصف البنية النحوية التقليدية فقط، بل يربط بين البنية اللغوية والسياق التداولي الذي تستخدم فيه اللغة.<sup>1</sup>
- يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفاية وفق نظرية النحو الوظيفي، وهي:

1. الكفاية التداولية: تعنى بفهم واستخدام اللغة في مواقف التواصل الفعلية، أي كيفية استعمال العبارات والجمل بشكل ملائم للسياق التواصل، مع مراعاة العلاقات بين المتكلم والمخاطب وظروف التواصل.

2. الكفاية النفسية: تتعلق بالعمليات الذهنية التي تمكن المتكلم من إنتاج اللغة وفهمها، وتشمل نماذج الإنتاج والفهم اللغوي التي تعكس كيفية بناء العبارات وتحليلها في الذهن.

3. الكفاية النمطية: تهدف إلى صياغة قواعد ومبادئ نحوية عامة قابلة للتطبيق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، مع رصد القواسم المشتركة والاختلافات بينها من حيث البنية والصوت والصرف والتركيب.<sup>2</sup>

هذه الكفايات الثلاث تُشكل أساساً متكاملًا لوصف اللغة في إطار النحو الوظيفي، حيث لا يقتصر الوصف على المعرفة النحوية فقط، بل يشمل الجوانب التداولية والنفسية والنمطية التي تضمن تحقيق التواصل الفعال والشامل بين مستعملي اللغة.

<sup>1</sup> - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، ص 64.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، الرباط:

1995، دار الأمان، ص 20.



### البنية العامة للنحو الوظيفي

تقوم البنية العامة للنحو الوظيفي على ثلاث مستويات بغيوية/منزايطة تشكل مراحل اشتقاق الجملة

وهي:

1. البنية الحمئية: تمثل هذه البنية الخصائص الدلالية الأساسية للجملة، وتتضمن المحمول (المعنى الأساسي) والحدود التي تحدد تركيب الجملة، وتعتمد على المعجم وقواعد تكوين المحمولات. تشكل هذه البنية الإطار الأولي الذي يُبنى عليه تركيب الجملة.

2. البنية الوظيفية: تتعلق هذه البنية بإسناد الوظائف التركيبية والتداولية داخل الجملة، مثل وظيفة الفاعل والمفعول، إضافة إلى الوظائف التداولية التي تحدد العلاقات بين عناصر الجملة وفقاً للسياق التواصلي. تنقسم الوظائف إلى تركيبية (كالفاعل والمفعول) وتداولية (مثل المحور والبؤرة).

3. البنية المكونية: تمثل البنية الصرفية والتركيبية للجملة، حيث تُطبق قواعد التعبير التي تشمل صياغة المحمول، صياغة الحدود، إسناد الحركات الإعرابية، تحديد المواقع النحوية، وإسناد النبر والتنغيم. تكمل هذه البنية بناء الجملة بشكل تام وقابل للتأويل الصوتي.

وكان منطلق النشأة هو الاقتناع بأن مقارنة خصائص العبارات اللغوية على أساس العلاقات أو الوظائف (الدلالية والتركيبية والتداولية) تفضل مقاربتها على أساس المقولات الشجرية كالمركب الاسمي أو المركب الفعلي الذي لا ورود له إلا في بعض اللغات<sup>1</sup>.

تعد المدرسة الوظيفية الأمريكية من الاتجاهات اللسانية الحديثة التي تركز على دراسة اللغة بوصفها أداة تواصل اجتماعي تخدم أغراض الإنسان في الحياة اليومية. تميزت هذه المدرسة بمنهجها العلمي التجريبي واهتمامها بالوظائف التي تؤديها البنى اللغوية في سياق استخدامها الفعلي، مما جعلها تتجاوز النظرة البنوية المجردة التي تدرس اللغة كنظام مستقل عن الواقع. كما أسهمت في توسيع فهمنا لكيفية تفاعل اللغة مع العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية، وفتحت آفاقاً جديدة لتطبيقات اللسانيات في مجالات التعليم، الترجمة، وعلم النفس اللغوي. لذلك، تظل المدرسة الوظيفية الأمريكية مرجعاً مهماً لفهم اللغة في سياقها الحي، ومصدر إلهام للبحوث اللغوية الحديثة التي تسعى إلى ربط النظرية بالتطبيق.

<sup>1</sup> - أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي الغربي الأصول والامتدادات، ص 60-62.



تمثل مدرسة أكسفورد في فلسفة اللغة توجهًا فلسفيًا تحليليًا نشأ في منتصف القرن العشرين في جامعة أكسفورد، ويُعد جون ل. أوستن وجون سيرل من أبرز روادها. تقوم هذه المدرسة على فكرة أن اللغة ليست مجرد نظام رموز لنقل المعلومات، بل هي نشاط اجتماعي عملي يُنجز من خلاله أفعال كلامية تؤدي وظائف متعددة مثل الوعد، الأمر، السؤال، والتهديد.

جون لانجشو أوستن John Langshaw Austin (1911-1960) هو فيلسوف لغة بريطاني بارز ومؤسس نظرية أفعال الكلام، التي أحدثت تحولًا كبيرًا في فلسفة اللغة. وُلد أوستن في مدينة لانكستر، وتلقى تعليمه في مدارس مثل: شروزبري وكلية باليول بجامعة أكسفورد، حيث حصل على منحة دراسية وبرز في دراسة الكلاسيكيات والفلسفة، متفوقًا في امتحاناته وحاصلًا على مرتبة الشرف من الدرجة الأولى. خلال الحرب العالمية الثانية، خدم في جهاز الاستخبارات البريطاني (MI6) وحقق إنجازات بارزة في دقة المعلومات التي ساعدت في نجاح عمليات عسكرية مهمة، مما أهله للحصول على عدة أوسمة منها وسام الإمبراطورية البريطانية والنيشان الفرنسي ووسام الاستحقاق الأمريكي.

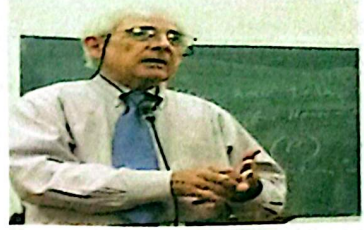


بعد الحرب، أصبح أوستن أستاذًا للفلسفة الأخلاقية في جامعة أكسفورد، حيث أسس سلسلة من الندوات الشهيرة المعروفة باسم "صباح أوستن ليوم السبت"، ناقش خلالها استخدامات اللغة مع طلابه وزملائه، رغم أن القليل من هذه المناقشات نُشر. يُعرف أوستن بتركيزه على اللغة العادية واستخدامها في الحياة اليومية، مؤكدًا أن الكلام هو فعل اجتماعي يؤدي وظائف متعددة مثل الوعد، الأمر، والتهديد، وليس مجرد نقل معلومات. توفي أوستن عام 1960 بعد صراع مع مرض سرطان الرئة، تاركًا إرثًا فلسفيًا هامًا أثر بشكل عميق في فلسفة اللغة واللسانيات.

يُعد جون لانجشو أوستن من الشخصيات الفلسفية التي أحدثت تحولًا جذريًا في فهمنا للغة، حيث انتقل بالفلسفة من دراسة المعنى المجرد إلى التركيز على اللغة كأفعال اجتماعية تساهم في بناء الواقع والتواصل بين الأفراد. ترك أوستن إرثًا غنيًا من الأفكار التي استكملها وتوسع فيها تلاميذه مثل جون سيرل، مما جعل نظريته في أفعال الكلام حجر الزاوية في فلسفة اللغة الحديثة واللسانيات التداولية. إن دراسة أعماله تفتح آفاقًا واسعة لفهم طبيعة اللغة ودورها الحيوي في الحياة الاجتماعية والثقافية، مما يجعلها ضرورة لكل دارس في مجال اللسانيات والفلسفة.



أما جون روجرز سيرل، ولد في 31 يوليو 1932 في دنفر، كولورادو، الولايات المتحدة. هو فيلسوف أمريكي بارز متخصص في فلسفة اللغة، فلسفة العقل، والفلسفة الاجتماعية. حصل سيرل على جميع درجاته الجامعية (البكالوريوس، الماجستير، والدكتوراه) من جامعة أكسفورد، حيث كان باحثاً بمنحة رودس. بدأ مسيرته الأكاديمية بالتدريس في جامعة أكسفورد كمحاضر للأبحاث، ثم انتقل إلى جامعة كاليفورنيا في بيركلي عام 1959، حيث أصبح أستاذاً فخرياً في فلسفة العقل واللغة.



يُعرف سيرل بإسهاماته الكبيرة في نظرية أفعال الكلام التي طورها جون ل. أوستين، حيث وسع وعمق فهم كيفية استخدام اللغة كأداة لإنجاز أفعال اجتماعية، كما قدم حجة "الغرفة الصينية" الشهيرة التي تنتقد النكأ الاصطناعي القوي. إضافة إلى ذلك، كان له دور بارز في الدفاع عن حرية التعبير خلال نشاطه في جامعة بيركلي في الستينيات، وشارك في قضايا اجتماعية وسياسية مهمة.

نال عدة جوائز مرموقة منها جائزة جان نيكود (2000)، الميدالية الوطنية للعلوم الإنسانية (2004)، وجائزة العقل والدماغ (2006). يُعتبر سيرل من أبرز الفلاسفة المعاصرين الذين أثروا في فلسفة اللغة وفلسفة العقل، ويُعد كتابه "أفعال اللغة" (1969) من المراجع الأساسية في هذا المجال. فقد وسّع هذه النظرية بتحليل أعمق لمفهوم القصد والنية، وصنف الأفعال الكلامية إلى أنواع مختلفة تساعد في فهم كيفية تحقيق اللغة لأغراض التواصل الاجتماعي. مدرسة أكسفورد بذلك أحدثت نقلة نوعية في فلسفة اللغة، حيث انتقلت من دراسة المعنى المجرد إلى دراسة اللغة كأداة تواصلية ديناميكية، مع التركيز على الاستخدام والسياق، مما جعلها حجر الزاوية في الفلسفة التحليلية الحديثة.

تُعد نظرية الأفعال الكلامية Speech Act Theory من أهم الركائز التي قامت عليها اللسانيات التداولية في البحث اللغوي العربي المعاصر، حيث تمثل تجسيداً حقيقياً لاستعمالات اللغة في الواقع العملي. تهتم هذه النظرية بدراسة ما يقوم به المتكلمون من أفعال باستخدام اللغة، سواء من خلال التبليغ أو الإنجاز أو التأثير وذلك بهدف إنجاح العملية التواصلية بين المتحدثين. تكمن أهمية هذه النظرية في قدرتها على تغيير النظرة التقليدية التي كانت تركز على الجانب المعرفي والوصفي للغة فقط، لتتظّر إليها كلغة فاعلة تؤثر في الواقع وتُحدث تغييرات فيه. بهذا المعنى، ألغت نظرية الأفعال الكلامية الحدود الفاصلة بين الكلام والفعل، وهو ما عبر عنه باختين Bakhtien بقوله إن المعلومات المتبادلة بين طرفي الحديث ليست مجرد بيانات، بل هي حلقة من حلقات التبادل الكلامي التي تدور في إطار الحياة الاجتماعية الواقعية، حيث يسعى المتكلم إلى تحقيق هدف معين من خلال كلامه.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 17، جانفي 2006، ص 80.



1. الأفعال الكلامية حسب النموذج الأوستيني الأوسيني أحد أبرز فلاسفة جامعة أكسفورد في القرن العشرين، وهو من أهم النقاد الذين حظيت آراؤهم باهتمام واسع من قبل الفلاسفة وطلّماء النفس واللغة وعلم الاجتماع، إلى جانب تخصصات أخرى ترتبط مباشرة بدراسة اللغة. تميز أوستين بإسهاماته الفريدة في فلسفة اللغة، وخاصة من خلال تطويره لنظرية أفعال الكلام التي أثرت في العديد من الحقول العلمية<sup>1</sup>.

قدم أوستين في محاضراته الشهيرة "كيف نعمل الأشياء بالكلمات How to Do Things with Words" تصنيفاً للأفعال الكلامية، ألقاها في جامعة "هارفرد Harvard" سنة 1955 ونشرت سنة 1962<sup>2</sup>. مميّزًا بين الأفعال التقريرية التي يمكن الحكم على صدقها أو كذبها، والأفعال الاداعية التي تتحقق أو تفشل بناءً على شروط معينة. ثم جاء جون سيرل ليطور هذه النظرية ويضع لها قواعد منهجية دقيقة، مركزًا على العلاقة بين نية المتكلم وتأثير الكلام على المستمع .

إن أبحاث جون أوستين جاءت كرد فعل نقدي على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين حصروا مهمة اللغة في إنتاج تراكيب خبرية فقط، تُقبل أو تُرفض بناءً على مدى مطابقتها للواقع، مع إهمالهم للجمل غير الوصفية باعتبارها بلا معنى. بمعنى آخر، كانت الوضعية المنطقية تركز على الجمل التي يمكن الحكم على صدقها أو كذبها فقط، متجاهلة الوظائف الأخرى للغة مثل الأوامر، الوعود، الأسئلة، وغيرها من الجمل التي لا تُعبّر عن حقائق وإنما تُتجزأ أفعالاً.

في هذا السياق، جاءت محاضرات أوستين لتفكيك هذه النظرة التقليدية، حيث بيّن أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل معلومات صحيحة أو خاطئة، بل هي أداة لفعل أشياء في الواقع، مثل الوعد أو الأمر أو الاعتذار. بمعنى آخر، اللغة ليست مجرد وصف للواقع، بل هي فعل اجتماعي يُنجز بالكلام نفسه.

رفض أوستين حصر اللغة في الجانب المعرفي والوصفي فقط، وفتح المجال لدراسة اللغة بوصفها أفعالاً تتطلب شروطاً وسياقات معينة حتى تُتجزأ بنجاح، وهو ما شكل أساساً لنظرية أفعال الكلام التي تُعد حجر الزاوية في اللسانيات التداولية.

<sup>1</sup> - عبد القادر عبد الجليل، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية الصرفية، ط1. الأردن: 2006، دار صفاء للنشر والتوزيع، ص193 .

<sup>2</sup> - أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، القاهرة: 2002، دار المعرفة الجامعية، ص60 .

ويمكن تلخيص أهم ما قدمه " أوستين " نظرية الفعل الكلامي في ثلاث مراحل مهمة وهي:

### المرحلة الأولى : محاولة التمييز بين الملفوظات الوصفية والملفوظات الإنجازية

بدأ أوستين أبحاثه انطلاقاً من معارضته لآراء فلاسفة اللغة من مدرسة الوصفية المنطقية، الذين قصروا وظيفة اللغة على إنتاج جمل وصفية فقط يمكن الحكم على صدقها أو كذبها بناءً على مدى مطابقتها للواقع، مع استبعادهم للجمل غير الوصفية واعتبارها بلا معنى، وبالتالي عدم جدواها للدراسة. وقد أطلق أوستين على هذا التحديد لنظرية المعنى مصطلح "المغالطة الوصفية (descriptive fallacy) "، لأنه حصر الاستخدامات الواسعة والمتنوعة للغة في نطاق ضيق يقتصر على الجمل الخبرية فقط، مما أغفل الأبعاد الفعلية والاجتماعية للغة التي تظهر في الأفعال الكلامية مثل الوعد، الأمر، والاعتذار، وغيرها. بهذا النقد، فتح أوستين المجال لدراسة اللغة باعتبارها أداة فاعلة تُنجز أفعالاً اجتماعية، وليس مجرد وسيلة لنقل معلومات وصفية.<sup>1</sup>

وهذا ما دفعه إلى محاولة التمييز بين نوعين من الملفوظات اللغوية:

1. **الملفوظات الوصفية (Les énoncés constatifs)** ، والتي تُعرف أيضاً بالملفوظات التقديرية أو الإخبارية، وهي التي تصف واقعاً خارجياً يمكن الحكم على صدقها أو كذبها بناءً على مدى مطابقتها للواقع.

2. **الملفوظات الإنجازية (Les énoncés performatifs)** ، وتسمى أيضاً بالملفوظات الإنشائية أو الأدائية أو الذاتية، وهي تختلف عن الأولى في أنها لا تصف واقعاً خارجياً ولا تخضع لمعيار الصدق والكذب، لكنها تحمل معنى ودوراً معيناً يتمثل في إنجاز فعل معين بمجرد التلفظ بها، مثل الوعد أو الأمر أو الاعتذار.

وقد أشار أوستين إلى أن هذا التمييز لا يقتصر على الجانب النظري فقط، بل يرتبط بشروط اجتماعية وسياقية يجب توفرها حتى يتحقق الفعل الإنجازي بنجاح. وبذلك، أسس أوستين رؤية جديدة للغة باعتبارها أداة فاعلة في التواصل الاجتماعي، تتجاوز مجرد وصف الواقع إلى إنجاز أفعال حقيقية من خلال الكلام نفسه.<sup>2</sup>

تتجلى أهمية الملفوظات الإنجازية في كونها تحمل طابعاً فاعلاً، إذ تُنجز فعلاً معيناً بمجرد التلفظ بها، فلا تقتصر على وصف حالة أو نقل معلومة، بل تتحول إلى فعل يحدث تأثيراً أو يحقق أمراً في الواقع. لفهم الفرق بين الملفوظات الوصفية والإنجازية، يمكن توضيحه بالأمثلة التالية:

1- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 60.

2- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 60.



1. إنَّ الجَوْ حازًا. منند اولعاح - بديوية
2. حديقة بيتنا واسعة وبها أشجار كثيرة
3. أعدك بأنني تسانورك غدا.
4. أنت طالق.
5. أعلن رسميًا عن افتتاح الجلسة.
6. إنني أهب منزلي لابني.

في الجملة الأولى، يقوم المتكلم بوصف واقع خارجي، حيث يعبر عن حالة الطقس، ويمكن الحكم على صحة هذا الوصف بالصدق إذا كان الجو حازًا بالفعل، أو بالكذب إذا كان معتدلًا أو باردًا. وينطبق الأمر نفسه على الجملة الثانية، التي تصف مساحة وحديقة البيت، حيث يكون الوصف صادقًا إذا كان مطابقًا للواقع، وكاذبًا إذا خالفه.

أما الجمل من الثالثة إلى السادسة، فهي لا تصف واقعًا خارجيًا، ولا تخضع للحكم بالصدق أو الكذب، لكنها تحمل معنى واضحًا وتؤدي فعلًا معينًا بمجرد التلفظ بها. فمثلًا، في الجملة الثالثة، لا يصف المتكلم حالة، بل ينجز فعل الوعد بمجرد قوله "أعدك". وفي الجملة الرابعة، يتحقق "فعل الطلاق" بمجرد نطق الزوج بكلمة "طالق". كذلك، في الجملة الخامسة، يُنجز "فعل الافتتاح" بمجرد إعلان الجلسة رسميًا، وفي الجملة السادسة، يتحقق "فعل الهبة" بمجرد التلفظ بعبارة "أهب".

من خلال هذه الأمثلة، يتضح الفرق الجوهرى بين الملفوظات الوصفية التي تهدف إلى نقل معلومات يمكن التحقق من صحتها، والملفوظات الإنجازية التي تُنجز أفعالًا اجتماعية حقيقية بمجرد التلفظ بها، مما يبرز الدور الفاعل للغة في التواصل الاجتماعي.

يُعدُّ من أبرز ما قَمَّه جون أوستين في نظرية الفعل الكلامي هو تأكيده على أن الجمل الإنجازية لا تُقاس بمعيار الصدق أو الكذب، بل تُقَيَّم وفق معيار النجاح أو الفشل في تحقيق الفعل المقصود. فهذه الجمل، مثل الوعد، وإيقاع الطلاق، والهبة، والبيع، والأمر، وغيرها، تُنجز فعلًا بمجرد التلفظ بها، ولا يمكن وصفها بأنها صادقة أو كاذبة. ولضمان نجاح هذا الفعل الكلامي، وضع أوستين مجموعة من المعايير التي يجب توفرها، وإذا توفرت كانت الجملة الإنجازية ناجحة وموفقة، وإذا لم تتوفر أو خُرق أحد هذه المعايير، فإن الفعل الكلامي يُعتبر فاشلاً، ولا يُوصف بالكذب.

وقد قسم أوستين هذه المعايير إلى قسمين رئيسيين، على النحو الآتي:



1. المعايير المقامية (Contextual Conditions) وهي الشروط المتعلقة بالظروف والمناسبات التي يُقال فيها الفعل الكلامي، مثل وجود الظروف الاجتماعية المناسبة، والأشخاص المخولين لأداء هذا الفعل، والزمان والمكان المناسبين.

2. المعايير المقالية (Utterance Conditions) وهي الشروط المتعلقة ببنية الجملة نفسها، مثل أن تكون الجملة تحتوي على فعل إنجازي، وأن يكون زمن الفعل هو زمن التلفظ (الحاضر)، وأن تكون الجملة مبنية للفاعل المناسب.

وبذلك، يُبرز أوستين أهمية السياق والظروف الاجتماعية واللغوية في تحديد نجاح أو فشل الفعل الكلامي الإنجازي، مؤكداً أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هي أداة فاعلة تُنجز أفعالاً اجتماعية حقيقية.

#### المرحلة الثانية: تطوير مفهوم الفعل الكلامي المركب

تُعدُّ مرحلة تطوير مفهوم الفعل الكلامي المركب من المحطات الأساسية في تطور نظرية أفعال الكلام، حيث انتقل جون أوستين من النظر إلى الكلام باعتباره مجرد جمل تُلفظ إلى فهم أعمق يُبين أن الفعل الكلامي يتضمن أبعاداً متعددة ومتداخلة تحدث في الوقت ذاته. في هذا الإطار، قدّم أوستين تصوّراً مركباً يتألف من ثلاثة أفعال مترامنة:

- **الفعل اللفظي (Locutionary Act)** وهو الفعل المتعلق بإنتاج الكلمات والأصوات ذات المعنى، أي التلفظ بجملة مفهومة لغوياً.
- **الفعل الإنجازي (Illocutionary Act)** وهو الفعل الذي ينجزه المتكلم من خلال كلامه، ويتمثل في نية المتكلم مثل الوعد، الأمر، السؤال، أو التعهد.
- **الفعل التأثيري (Perlocutionary Act)** وهو التأثير الذي يحدثه الكلام على المستمع، مثل الإقناع، التخويف، أو الحث على فعل شيء معين.

هذا المفهوم المركب للفعل الكلامي شكّل نقلة نوعية في فهم اللغة، إذ لم يعد الكلام مجرد نقل معلومات، بل أصبح فعلاً اجتماعياً معقداً يتطلب دراسة أبعاده المختلفة وسياقه الاجتماعي. كما ساهم هذا التطوير في تأسيس علم التداولية الذي يدرس العلاقة بين اللغة واستخدامها في الحياة الاجتماعية.



لاحقاً، قام جون سيرل بتطوير هذه النظرية من خلال ضبط منهجي أدق وتصنيف أوسع للأفعال الكلامية، مع التركيز على الشروط التي تضمن نجاح الفعل الإنجازي، مما جعل النظرية أكثر شمولاً ودقة في تفسير كيفية عمل اللغة كأداة فاعلة في التواصل.

### المرحلة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية

ينطلق أوستين في هذه المرحلة من فرضية أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال فرعية تشكل وحدة واحدة تؤدي في الوقت ذاته الذي يُلفظ فيه الكلام، ولا يمكن فصلها أو تجزئتها إلا لأغراض تحليلية وتيسير الفهم والدراسة فقط. وهذه الأفعال الثلاثة هي:

1. **الفعل اللفظي (Locutionary Act)** وهو الفعل المتعلق بإصدار الأصوات والكلمات ذات المعنى، أي التلفظ بجملة مفهومة لغوياً.

2. **الفعل الإنجازي (Illocutionary Act)** وهو الفعل الذي ينجزه المتكلم من خلال كلامه، ويعبر عن نية المتكلم مثل الوعد، الأمر، السؤال، أو التعهد، وهو جوهر الفعل الكلامي.<sup>1</sup>

3. **الفعل التأثيري (Perlocutionary Act)** وهو التأثير الذي يحدثه الكلام على المستمع، مثل الإقناع، التخويف، أو الحث على فعل معين.

يرى أوستين أن هذه الأفعال الثلاثة متداخلة ومتكاملة، ولا يمكن فصلها عملياً في سياق الكلام الحقيقي، لكنها تُميز لأغراض الدراسة والتحليل فقط، حيث يساعد هذا التقسيم في فهم طبيعة الأفعال الكلامية المختلفة وكيفية عملها داخل العملية التواصلية.

فالغاية من هذا الفعل الكلامي هي دفع المتلقي إلى اتخاذ موقف معين، أو تغيير رأيه، أو القيام بفعل محدد. فعلى سبيل المثال، عندما يقول المتكلم عبارة مثل: "في هذا البيت عفاريت"، فإن الهدف من وراء هذه العبارة هو إقناع الشخص المعني بترك استئجار البيت أو عدم شرائه. الوظيفة التي تؤديها العبارة من وجهة نظر المتكلم تكون واضحة ومقصودة، فهو يعبر عن نيته بشكل مباشر ويضعها تحت سيطرته. أما التأثير الفعلي على المخاطب، فلا يمكن التنبؤ به بدقة، فقد يكون مختلفاً أو حتى معاكساً لما يتوقعه المتكلم. ولا يمكن تقييم مدى هذا التأثير إلا بعد مراقبة رد فعل السامع واستجابته للعبارة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الكويت: 1994، مطبوعات جامعة الكويت.

<sup>2</sup> - ينظر: الجبالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات، الجزائر: 1992، ص 24.

يركز أوستين في نظريته على الفعل الإنجازي باعتباره الركيزة الأساسية في الكلام، ولذلك أطلق على نظريته اسم "النظرية الإنجازية" أو "نظرية الفعل الإنجازي". يرتبط هذا الفعل وثيق بمقصد المتكلم، إذ يجب على السامع أن يبذل جهداً لفهم هذا المقصد ويجوّه، مما يجعل مفهوم قصد المتكلم (القصدية Intention) محوراً أساسياً في نظرية أفعال الكلام.

استناداً إلى مفهوم القوة الإنجازية، ميّز أوستين خمسة أنواع رئيسية للأفعال الكلامية، حيث يوضح أن الفعل الإنجازي لا يقتصر على مجرد النطق بالكلمات، بل هو فعل يُنجز بالفعل من خلال التلفظ، ويُقصد به تحقيق هدف معين أو إحداث أثر في المتلقي. وهي كما لآتي:

1. الأفعال الحكمية: (Les verdictatives) تهدف إلى إصدار أحكام أو قرارات، مثل: برا، حكم، قدر، وصدر حكم قضائي أو تقييم معين.
2. الأفعال الممارساتية: (Les executives) تعبر عن ممارسة سلطة أو اتخاذ قرارات تنفيذية، مثل: عين، أعلن، نصح، حيث يقوم المتكلم بممارسة سلطة تشريعية أو قانونية.
3. الأفعال الوعدية: (Les commissives) هي الأفعال التي يتعهد من خلالها المتكلم بالقيام بفعل معين في المستقبل، مثل: وعد، التزم، كفل.
4. الأفعال السلوكية: (Les conductives) تهدف إلى إبداء سلوك اجتماعي معين أو التعبير عن موقف، مثل: هيا، شكر، اعتر.
5. الأفعال العرضية: (Les expositives) تستخدم في الحجاج والنقاش، وتهدف إلى تقديم أدلة أو استنتاجات، مثل: افترض، استنبط، أثبت، برهن.

يمثل هذا التصنيف إطاراً منهجياً لفهم تنوع الأفعال الكلامية ودورها في التواصل، حيث يبرز أوستين أن اللغة ليست مجرد نقل معلومات، بل أداة فاعلة تُنجز أفعالاً اجتماعية متعدّدة الأبعاد، تتجاوز النظرية التقليدية التي كانت تحصر اللغة في نقل المعلومات فقط.

رغم الجهد الكبير الذي بذله جون أوستين في محاولة بناء نظرية متكاملة لأفعال الكلام، إلا أن أعماله لم تصل إلى تأسيس أسس منهجية واضحة ومحددة بشكل كامل، مما جعل نظريته تفتقر إلى التنظيم المنهجي الصارم الذي كان يصبو إليه. وقد تلقى أوستين انتقادات عديدة ركزت على جوانب مثل التركيز المفرط على قصد المتكلم دون الاهتمام الكافي بتأثير الكلام على المستمع، بالإضافة إلى عدم وضوح بعض التصنيفات والشروط التي وضعها لتمييز أنواع الأفعال الكلامية.



ويرى كثير من الباحثين أن وفاة أوستين قبل أن يتمكن من إتمام نظريته كانت سبباً في عدم وضوح بعض جوانبها، وأن سيرل هو الذي أكمل المسيرة وقدم الصورة الكاملة والمرتزة لنظرية أفعال الكلام.

ولم تتبلور معالم هذه النظرية بشكل واضح إلا مع ظهور المرحلة الثانية من تطورها، والتي جاءت على يد تلميذه جون سيرل. فقد قام سيرل بمراجعة وتطوير تصنيفات أوستين، وضبط الشروط والمعايير التي تحدد نجاح أو فشل الأفعال الكلامية، مما أضفى على النظرية طابعاً منهجياً أكثر دقة وشمولاً.

يُعد جون روجر سيرل شخصية محورية في تطوير نظرية أفعال الكلام التي أسسها معلمه جون أوستين، حيث قام بإرساء أسس منهجية أكثر وضوحاً وتنظيماً للنظرية، مما منحها نضجاً علمياً وأسساً متينة. استند سيرل إلى المبادئ التي وضعها أوستين، لكنه أعاد صياغتها وصنفها ضمن إطار منهجي متماسك، فشكل بذلك المرحلة الثانية والمحورية في تطور هذه النظرية.

ومن أبرز إسهامات سيرل:

✓ تحديد معالم النظرية بشكل واضح، حيث وضع قواعد صارمة لتصنيف الأفعال الكلامية وتوضيح شروط نجاحها وفشلها، وهو ما غاب عن أوستين بسبب عدم اكتمال أعماله.

يمكن تحديد معالم نظرية أفعال الكلام عند جون سيرل بشكل واضح من خلال ما يلي:

✓ توسيع مفهوم الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة: لاحظ سيرل أن كثيراً من الجمل لا تعبر عما يظهر من معناها الحرفي، بل تحمل معانٍ غير مباشرة، مثل عبارة "هل يمكنك أن تعطيني الملح؟" التي ظاهراً استفهام لكنها تُستخدم كطلب. وقد ركز سيرل على كيفية انتقال المعنى من الصيغة الحرفية إلى المعنى المقصود ضمن السياق.

✓ وضع قواعد استدلالية لفهم الأفعال غير المباشرة: قسم سيرل تفاعلات الكلام إلى مراحل وقواعد تمكن المستمع من استنتاج المعنى الحقيقي للفعل الكلامي غير المباشر، معتمداً على المعلومات المشتركة والسياق الاجتماعي.

✓ تطوير شروط نجاح الفعل الكلامي: طور سيرل شروط الملاءمة التي يجب توفرها ليكون الفعل الإنجازي ناجحاً، مثل شرط المحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسي، متجاوزاً بذلك القصور في شروط أوستين.



✓ تأكيد دور المؤسسة الاجتماعية في إنجاز الأفعال الكلامية: يبين سيرل أن الكلام يصدر ضمن مؤسسات اجتماعية تضي القوة اللازمة على الأفعال الكلامية، وتحدد مواقف المتكلمين الاجتماعية والتخاطبية.

✓ التركيز على العلاقة بين قصد المتكلم وتأثير الكلام: اهتم سيرل بدراسة العلاقة بين نية المتكلم والنتيجة التي يحققها الكلام على المستمع، مما ساعد في فهم أعمق لكيفية عمل اللغة في التواصل<sup>1</sup>.

بهذه المعالم، أسهم سيرل في تحويل نظرية أفعال الكلام إلى إطار منهجي متكامل يمكن تطبيقه في تحليل الخطاب والتواصل اللغوي، مع التركيز على البعد التداولي والسياقي.

✓ تطوير التصنيفات التي بدأها أوستين، مع التركيز على العلاقة بين قصد المتكلم وتأثير الكلام على المستمع، مما جعل النظرية أكثر شمولية ودقة في تفسير كيفية عمل اللغة كأداة فاعلة في التواصل.

ساهم جون سيرل في تطوير تصنيفات الأفعال الكلامية التي بدأها أوستين عبر إعادة تنظيمها وتفصيلها بمنهجية أكثر دقة، حيث وضع سمات خاصة تميز كل صنف من أصناف الأفعال الإنجازية، خلافاً لأوستين الذي اعتمد وسائل عامة مثل صيغة الفعل والسياق.

فقد صنّف سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف رئيسية:

1. الأفعال الحكمية (Verdictives): تصدر أحكاماً مثل: برأ، حكم، قدر، وتميزت بكون الصدق أو الكذب سمة لها.
2. الأفعال الممارساتية (Executives): تعبر عن ممارسة سلطة أو اتخاذ قرارات تنفيذية مثل: عين، أعلن، نصح، وتتميز بالاستجابة أو الرفض.
3. الأفعال الوعدية (Commissives): يتعهد المتكلم من خلالها بإنجاز فعل معين مثل: وعد، التزم، كفل، وتتميز بالتنفيذ أو النكث.
4. الأفعال السلوكية (Conductives): تهدف إلى إبداء سلوك معين مثل: هيا، شكر، اعتذر.
5. الأفعال العرضية (Expositives): تهدف إلى الحجاج والنقاش مثل: افترض، استنبط، أثبت، برهن.

<sup>1</sup> - ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1. بيروت: 2006، الدار العربية للعلوم.

كما قام سيرل بتوضيح شروط نجاح **إخفاق الأفعال الكلامية**، مما أضفى وضوحاً منهجياً على تصنيفات أوستين، وجعل النظرية أكثر شمولية **ومرة أخرى تفسير كيفية عمل اللغة كأداة فاعلة في التواصل الاجتماعي.**

✓ تأسيس المنهجية العلمية للنظرية، عبر كتابه "أفعال الكلام" (1969) الذي يُعتبر مرجعاً أساسياً في هذا المجال، حيث دمج بين الفلسفة التحليلية ومبادئ التداولية لتقديم رؤية متكاملة.<sup>1</sup>

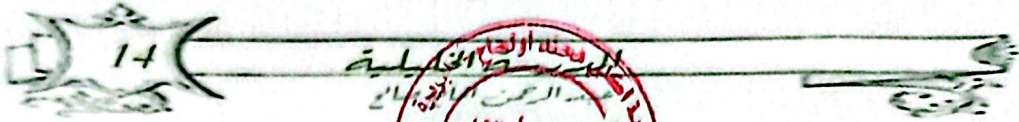
ساهم جون روجرز سيرل بشكل بارز في تأسيس المنهجية العلمية لنظرية أفعال الكلام التي بدأها أوستين، من خلال تطوير إطار منهجي واضح ومنظم يمكن من خلاله تحليل الأفعال الكلامية بدقة وموضوعية. فقد أعاد سيرل النظر في تصنيفات أوستين وقدم نظاماً منهجياً مبنياً على معايير واضحة تتعلق بالقوة الإنجازية للفعل، مقسماً الأفعال الكلامية إلى خمسة أنواع رئيسية: الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيرات، والتصريحات.

كما ميّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وقدم شروطاً محددة لنجاح الأفعال الكلامية غير المباشرة، مما أتاح فهماً أعمق لكيفية تحقيق الأفعال الكلامية لأهدافها في سياقات مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، وضع سيرل ما يقارب اثني عشر مقياساً تميز بين أنواع الأفعال الإنجازية، مما أضفى دقة علمية على تصنيف الأفعال الكلامية وأسس لتحليل تداولي منهجي.

تمثل إسهامات جون روجرز سيرل نقطة تحوّل مهمّة في فهمنا لفلسفة اللغة وفلسفة العقل. ويعدّ سيرل أول من تبنى ووسع فكرة أوستين، موضحاً إياها ومطوراً إياها بمنهجية علمية متماسكة، ما جعل نظرية أفعال الكلام أكثر شمولية وقدرة على التطبيق في دراسة اللغة والتواصل، وأسهم في إرساء أسس التداولية الحديثة في اللسانيات والفلسفة اللغوية. فقد قدّم نموذجاً متكاملًا يربط بين اللغة والنية والوعي، ممّا ساعد على توضيح كيف تُستخدم اللغة كأداة فاعلة في التفاعل الاجتماعي وبناء المعنى. كما أثرت أفكاره النقدية حول الذكاء الاصطناعي والوعي على العديد من المجالات البحثية والفكرية المعاصرة.

إنّ دراسة أعمال سيرل لا تقتصر على الجانب النظري فحسب، بل تمتد لتشمل تطبيقات عملية في علوم اللغة، الذكاء الاصطناعي، وعلم النفس، ممّا يجعل إرثه الفكري ركيزة أساسية لأي باحث أو طالب يسعى إلى تعميق فهمه لطبيعة اللغة والذهن في العصر الحديث.

<sup>1</sup> - ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي.



المدرسة الخليلية هي مدرسة لغوية ولحوية عربية تراثية تعود إلى العالم النحوي الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلاميذه من النحاة العرب الأوائل. وضع أسسها في القرن الثاني الهجري، وتعتبر من أبرز المدارس التي أثرت في البحث اللغوي العربي. تميزت هذه المدرسة بتطويرها لنظرية النحو العربي الأصلية، مع التركيز على استخدام مفاهيم دقيقة ومنهجيات تحليلية متقدمة، منها اعتمادها على التصنيف البنوي للغة وتحديد الأصول والفروع في الوحدات اللغوية، وهو ما ساهم في ضبط جماليات اللغة العربية وقواعدها بشكل منهجي.

في العصر الحديث، قام الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بإعادة قراءة وتطوير النظرية الخليلية حيث دمج بين التراث اللغوي العربي الأصل والنظريات اللسانية الحديثة، مع الاستفادة من تقنيات الحوسبة اللغوية، مما أتاح تطبيقات عملية جديدة لتحليل اللغة العربية. تهدف المدرسة الخليلية الحديثة إلى تأكيد أصالة المصطلحات اللغوية العربية، ومواكبة التطورات اللسانية المعاصرة، مع التركيز على فهم بنية اللفظ وتحليلها بشكل دقيق.

تعد المدرسة الخليلية جسراً بين التراث اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة، حيث تسعى إلى تطوير الدراسات اللغوية والثقافية العربية من خلال استثمار مفاهيمها في مجالات متعددة، مما يجعلها ركيزة أساسية لفهم اللغة العربية وتحليلها بصورة علمية متجددة.

وتسعى هذه النظرية إلى إعادة اكتشاف البناء المعرفي العربي في مجال اللغة، مستنيرة بالمفاهيم اللسانية الحديثة، مما يمنحها بعداً تجديدياً يربط بين الأصالة والمعاصرة، وبين الاجتهاد التراثي والمنهج العلمي الحديث. وقد اضطلع العلامة عبد الرحمن الحاج صالح بدور رائد في إبراز هذه النظرية، معتبراً إياها أساساً نظرياً رصيناً لعدد من الدراسات اللغوية الحديثة، ومصدر إلهام لتطوير الطرح اللساني العربي بما يتناسب مع خصوصيات اللغة والفكر والمفاهيم اللسانية العربية.

وقد بين الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أهمية النظرية الخليلية الحديثة بقوله: «وقد صارت النظرية منذ ذلك الوقت العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الآفاق العلمية، وخاصة من





\* المستقيم الكذب: هو الكلام الذي وضع اللفظ في غير موضعه الصحيح، مثل قوله: "قد زيداً رأيت وكى زيد يأتيك"، فالكلام هنا يخالف قواعد النحو العربي، حيث لا يصح تقديم المفعول به على الفعل في الجملة الأولى، واستخدام "كي" مع الفعل المضارع في الجملة الثانية، وهذا الكلام غير مقبول لغوياً.

\* المحال الكذب: هو الكلام الذي يجمع بين الاستحالة والكذب، مثل قوله: "سوف أشرب ماء البحر"، وهذا الكلام مستحيل الوقوع؛ لأن الإنسان لا يمكنه شرب ماء البحر بكميات كبيرة.

من خلال هذا التصنيف، يسعى سيبويه إلى وضع معايير دقيقة لتقييم الكلام وتحديد مدى صحته وسلامته، سواء من الناحية اللغوية أو المنطقية، وهو ما يعكس اهتمامه بالدقة والوضوح في التعبير اللغوي.

وبناءً على هذا التمييز، يؤكد النحاة أن اللفظ هو العنصر الأول الذي يتبادر إلى الذهن، ومن خلاله يُستخلص المعنى لاحقاً. لذلك، يجب أن يكون الانطلاق في التحليل من اللفظ في أبسط حالاته، أي في حالة الانفراد، حيث يُدرس اللفظ بمعزل عن أي اعتبار دلالي أو سياقي. هذا المبدأ يؤكد أن اللغة نظام من الدوال (اللفظ) التي تُستخدم للدلالة على المعاني، ومن ثم فإن دراسة اللغة تبدأ بدراسة هذه الدوال في شكلها المجرد قبل التطرق إلى معانيها واستخداماتها.

في النظرية الخليلية الحديثة، يبرز عبد الرحمن الحاج صالح أهمية الفصل التام بين اللفظ والمعنى في عملية التحليل اللغوي. فحين يُحدد أو يُفسر اللفظ بالاستناد إلى اعتبارات معنوية، يكون التحليل حينها تحليلاً معنوياً، أما إذا تم التحديد والتفسير اعتماداً على اللفظ فقط دون الرجوع إلى المعنى، فيُعد ذلك تحليلاً نحوياً بحثاً. ويرى الحاج صالح أن الخلط بين هذين النوعين من التحليل يُعد خطأً منهجياً يُقصر من دقة الدراسة اللغوية<sup>1</sup>.

وبذلك، يميز الحاج صالح بين الوضع، الذي يمثل النظام البنيوي للغة ويركز على اللفظ كدال مستقل، والاستعمال، الذي يعبر عن كيفية استخدام هذا النظام في الواقع اللغوي، حيث تتغير العلاقة بين اللفظ والمعنى بفعل العوامل السياقية، مما يفرق بين التحليل النحوي (الذي يركز على الوضع) والتحليل الدلالي أو الاستعمالي<sup>2</sup>.

## 2. مفهوم المثال

ذهب عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن مفهوم "المثال" لا نظير له في اللسانيات الغربية، فهو مفهوم عربي أصيل لا يعرفه اللسانيون الغربيون إلا من خلال اطلاعهم على التراث العربي عبر بعض

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 3.

<sup>2</sup> ينظر: خليل أحمد عامرة، في نحو اللغة وتراكيبها" منهج وتطبيق"، دار المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01،

1984م، ص ص 56-57.



المستشرقين. ويعرف الحاج صالح (المثال) بأنه حدًا إجرائيًا يُحدد به العناصر اللغوية، إذ يُرسم فيه جميع العمليات التي تُنتج العنصر اللغوي في واقع الخطاب، سواء على مستوى الكلمة وبنائها أو على مستويات أخرى من اللغة<sup>1</sup>. بمعنى آخر، "المثال" هو البناء أو الوزن الذي يمثل الهيئة الصورية المجردة للكلمة، ويشمل الحروف الأصلية والزوائد مع حركاتها وسكناتها في مواقعها المحددة، مما يجعل له دورًا محوريًا في تحديد شكل وتركيب الوحدة اللغوية داخل النظام اللغوي العربي.

مفهوم "المثال" في النظرية الخليلية الحديثة، كما يوضحه عبد الرحمن الحاج صالح، هو عبارة عن «مجموعة من المواضيع الاعتبارية مرتبة ترتيبًا معينًا يدخل في بعضها، وقد تخلو منها العناصر الأصلية وما فوقها»<sup>2</sup>.

يُعدّ (المثال) حدًا إجرائيًا يُحدد به العناصر اللغوية، حيث تُرسم فيه جميع العمليات التي تتولد بها الوحدة اللغوية وبنيتها الصرفية في واقع الخطاب. وهو يختلف عن المفاهيم اللسانية الغربية التي لا تمتلك مقابلًا دقيقًا له، مما يجعل هذا المفهوم من أهم الإضافات التي قدمتها النظرية الخليلية الحديثة لتحليل اللغة العربية. وهو مفهوم منطقي ورياضي محض ينطبق على مستويات اللغة كافة، بدءًا من مستوى الكلمة، حيث يكون "المثال" مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها في مواضعها المحددة، أي البناء أو وزن الكلمة، مثل كلمات: "كتب"، "كاتب"، "مكتوب"، "استنتج"، و"استخرج".

ومن هنا، يُمكن فهم "المثال" كأداة تحليلية تسمح بفهم كيفية تكوين الكلمات وتطورها داخل النظام اللغوي العربي، وهو ما يميز النظرية الخليلية الحديثة عن غيرها من النظريات اللسانية الغربية التي تفتقر إلى مثل هذا المفهوم الدقيق والمنهجي.

### 3. مفهوم الباب

هو القاعدة أو النموذج العام الذي تتبثق منه الفروع أو الأمثلة، وهو مبدأ ينظم اللغة في أنماط وقواعد قابلة للتطبيق على حالات متعددة.

يُعرف "الباب" في النظرية الخليلية الحديثة بأنه مجموعة من العناصر اللغوية المتكافئة التي تجمعها بنية مشتركة على مستوى اللفظ والمعنى، وهو مفهوم يستند إلى منطق المجموعات الرياضي، حيث يمكن أن يكون الباب خاليًا أو يحتوي على عنصر واحد أو أكثر.

<sup>1</sup> عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، منشورات المجمع للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 319.

<sup>2</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، منشورات المجمع للغة العربية، ص16.



## 4. الأصل والفرع

يُعد مفهوم الأصل والفرع في النظرية الخليلية من المفاهيم الأساسية التي تشكل قاعدة لفهم بنية اللغة العربية وتحليلها.

وقد جعل الخليل "وَسَيُويهِ" النظام اللغوي بأكمله يتكون من أصول وفروع، عَرَفَ الحاج صالح الأصل بقوله: "ما يبنى عليه و لم يبن على غيره وهو ما يستقل بنفسه - أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده - و لا يحتاج إلى علامة لتمييز عن فروعه فله العلامة العدمية"<sup>1</sup>. فالأصل هو العنصر الثابت أو النواة التي تُبنى عليها وحدات لغوية أخرى.

من بين خصائص الأصل في النظرية الخليلية:

- خلوه التام من أي زيادة، سواء كانت إيجابية أو سلبية، فهو يمثل الوحدة اللغوية الأساسية البسيطة التي لا تتضمن أي تعديل أو إضافة.
  - وجوده مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم آخر يُعرف بالفرع، حيث يشكل الأصل القاعدة التي ينبثق منها الفرع.
  - ينطبق مفهوم الأصل على جميع مستويات اللغة، سواء على مستوى الكلمة أو التركيب أو غيرها.
  - على سبيل المثال، يُعتبر المذكر أصلاً بالنسبة للمؤنث، وكذلك النكرة أصلاً بالنسبة للمعرفة.
- و أما الفرع عند النحاة العرب هو: "الأصل مع زيادة إيجابية أو سلبية". ينتج وحدة لغوية جديدة مشتقة من الأصل.

و يحدده الحاج صالح بأنه الأصل مضافاً إليه زيادة أو تحويل معين<sup>2</sup>. ويتم اشتقاق هذه الفروع من الأصول عبر تفرع بعض العبارات عن أخرى تُعتبر أبسط منها وأصلية. ولتوضيح هذه العلاقة بين الأصول والفروع، لجأ النحاة العرب إلى منهج علمي يُعرف بـ"حمل الشيء على الشيء" أو "إجرائه عليه"، وهو أسلوب فكري يهدف إلى اكتشاف القاسم المشترك أو الجامع الذي يجمع بين هذه العبارات المختلفة.

هذا المنهج يسمح بفهم البنية التي توحد بين أنواع متعددة من الجمل، ويُظهر كيف يمكن ربط المتتاليات المختلفة من الجمل التي أوردتها سيبويه في كتابه، من خلال البحث عن القاعدة أو البنية المشتركة

<sup>1</sup> تعرف في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة بالتعرية من العوامل اللفظية ويرمز لها بالرمز Ø على حد تعبير اللسانيات *marque zéro* ومفهوم العلامة العدمية في النحو العربي على معنى ثبوته في اللفظ.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 217.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 127.



التي تجمعها. بمعنى آخر، "حمل الشيء على الشيء" هو عملية عقلية تقوم على نسب حكم أو قاعدة من عبارة أبسط إلى عبارة أخرى أكثر تعقيداً، مما يسهم في بناء نظام لغوي متماسك ومنسجم.

تُظهر المتتاليات التي أوردها سيبويه كيف يمكن ربط الجمل المختلفة عبر قواعد مشتركة، مما يعكس فهمه العميق للنظام اللغوي ككل. فالجملة الأصلية تمثل القاعدة أو النموذج، ومن خلالها يُشتق فرعها من الجمل التي تحمل إضافات أو تغييرات معينة، سواء في التركيب أو المعنى. هذا الترتيب المنهجي يسمح بفهم العلاقة بين البنى اللغوية المختلفة وتفسير التنوع في التعبير اللغوي ضمن إطار موحد.

كما يبرز هذا المنهج دور سيبويه في تأسيس نظرية الأصول اللغوية التي تركز على فكرة أن اللغة تتكون من أصول وفروع مترابطة، وأن فهم هذه العلاقة هو مفتاح لفهم اللغة العربية وتحليلها بشكل علمي دقيق.

أمثلة من متتاليات الجمل عند سيبويه:

1. الجملة الاسمية الأصلية: محمد قائم

هذه جملة بسيطة تتكون من مبتدأ وخبر، وهي أصل يُبنى عليه فروع أكثر تعقيداً.

2. الجملة الفعلية الأصلية: قام محمد

جملة فعلية تتكون من فعل وفاعل، تُعتبر قاعدة أساسية في بناء الجمل الفعلية.

3. الجمل المشتقة أو الفروع: محمد قائم في المسجد. (إضافة ظرف مكان)

✓ قام محمد مسرعاً. (إضافة حال)

✓ أخبرت أن محمد قائم. (جملة مركبة)

هذه الجمل تُشتق من الجمل الأصلية بإضافة عناصر نحوية أو تركيبية تزيد من تعقيدها، لكنها تحتفظ بالبنية الأساسية التي تجمعها بالجمل الأصلية.

4. الجمل التي توضح العلاقة بين المسند والمسند إليه:

✓ عبد الله أخوك.

✓ قام زيد.

حيث يوضح سيبويه أن الجملة تتكون من مسند ومسند إليه، ويُظهر كيف يمكن أن تختلف التركيبات لكنها تبقى ضمن إطار بنيوي موحد.

تكمن أهمية هذه المتتاليات في عدة نقاط رئيسية، يمكن تلخيصها كما يلي:

1. تساعد المتتاليات في توضيح كيف تُنظم اللغة العربية ضمن نظام هرمي من الأصول والفروع، حيث

تُبنى الجمل المعقدة على قواعد وأصول بسيطة، مما يسهل دراسة اللغة وتحليلها بشكل منهجي.



2. توضح المتتاليات أن اللغة ليست مجرد تراكم عشوائي للكلمات، بل هي نظام متكامل من القواعد والعلاقات التي تربط بين الجمل والتراكيب المختلفة، مما يعكس وحدة اللغة وتماسكها.

3. تُظهر هذه المتتاليات المنهج المنطقي الذي اتبعه سيويوه في بناء قواعد اللغة، حيث يقوم على الربط المنطقي بين الجمل المختلفة، مما يسهل استيعاب التنوع اللغوي ضمن إطار واحد متماسك.

باختصار، المتتاليات التي أوردها سيويوه تمثل أداة تحليلية قوية لفهم بنية اللغة العربية، وتُعد نموذجاً يُبرز عبقرية النحاة العرب في تأسيس علم النحو بطريقة علمية ومنهجية.

في إطار التحليل اللغوي، يُعرّف الأصل بأنه الوحدة الأساسية الخالية من أي علامات أو زيادات، بينما يُعد الفرع تحويلاً لهذا الأصل عبر إضافة علامة أو زائدة، مما يُنتج وحدة جديدة. هذا المنهج يعكس النظام الهرمي للغة، حيث تُشتق الفروع من الأصول عبر عمليات تحويلية تُغير البنية دون تغيير الجوهر.

وفي مقارنة مع النظرية التوليدية التحويلية لنعوم شومسكي، يُلاحظ أن تحويلاته تقتصر على ربط البنية السطحية (اللفظية) بالبنية العميقة (المعيارية الذهنية). إلا أن هذا النمط من التحويل يُعتبر نوعاً واحداً ضمن أنواع متعددة في النحو العربي، حيث يُطلق عليه "التحويل التقديري"، الذي يتجلى عند محاولة تفسير التراكيب الملتبسة أو التي تعرضت للحذف، أو تلك التي لم تلتزم بالبناء المتوقع. هنا، يقدر النحاة لكل معنى محتمل لفظاً يفترضونه بناءً على السياق والقواعد، مثل تفسيرهم لجملة "مررت برجل راكب وذاهب" بافتراض مهلة زمنية بين النعتين.

#### خصائص التحويل في النحو العربي:

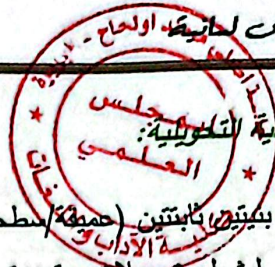
- الشمولية: يشمل التحويل جميع المستويات اللغوية:

✓ مستوى الكلمة: كاشتقاق "فَعَل" من "فَعَلَ".

✓ مستوى اللفظ: كتحويل المذكر إلى مؤنث بإضافة التاء المربوطة.

✓ مستوى التركيب: كتقديم المفعول به على الفاعل مع تغيير الإعراب.

- المرونة التفسيرية: يسمح بتعدد التقديرات التحويلية لتراكيب واحدة، كتفسير جملة "ضرب زيدٌ عمراً" على أنها فعلية أصلية، أو محولة من جملة اسمية مثل: زيدٌ ضاربٌ عمراً.
- الربط بين الشكل والمعنى: لا يقتصر على البنية الشكلية، بل يمتد ليشمل الدلالة كما في تحويل الفعل اللازم إلى متعدٍ بإضافة حرف جر، مما يغير دلالاته.



دراسة مقارنة مع النظرية التوليدية التحليلية:

- تشومسكي يركز على التحويل بين بيئتين (حميقة/سطحية) كألية لتفسير القدرة اللغوية الذهنية.
- النحو العربي يتجاوز هذا الثنائي ليشمل تحويلات متعددة المستويات (صرفية، نحوية، دلالية) مع إمكانية افتراض بنى أصلية متعددة لتكوين واحد، اعتماداً على السياق والقرائن.

مثال:

في الآية الكريمة ﴿الَسُنْتُ بِرِكُمْ﴾ الأعراف: 172

يقدر النحاة بنية عميقة تفيد النفي والاستفهام الإنكاري، مع تحويلها سطحياً عبر زيادة "همزة الاستفهام" و"الباء" في "بريكم"، مما يعكس التفاعل بين الأصل والفرع على مستويات متعددة.

هذا المنهج يبرز ثراء النحو العربي في التعامل مع التعقيدات اللغوية، حيث لا يقتصر على الوصف السطحي، بل يغوص في التحليل التقديري القائم على الفهم العميق لطبقات اللغة ومرونتها.

## 5. الابتداء والفصل

مفهوم الانفصال والابتداء يشكلان حجر الزاوية في تحليل النحو العربي عند النحاة الأوائل، وهما صفتان تحددان طبيعة الكلام الأدبي، حيث:

- الانفصال يعني أن الوحدة اللغوية لا يتبعها شيء، أي أنها تنتهي عندها القطعة اللغوية فلا يلحق بها ما بعدها.
- الابتداء يعني أن الوحدة اللغوية لا يسبقها شيء، أي أنها تبدأ بها القطعة اللغوية فلا يوجد ما يسبقها. بذلك، كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو بعدها، وقابلة للابتداء أو الوقوف عليها حسب موقعها في الكلام.

تصنف الوحدات في اللسان العربي، إلى ثلاثة أنواع:

- وحدات يبتدأ بها وتتفصل عما قبلها ولا يوقف عليها، مثل حرف الجر (إلى)
- وحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها، أي تتفصل عما بعدها، مثل الضمائر المتصلة بالأسماء أو الأفعال.
- وحدات يبتدأ بها وتتفصل عما قبلها ويوقف عليها، مثل كلمة (سعيد) في جواب سؤال (من دخل؟)<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، الجزائر، الجزائر: 2004، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 110.

النحاة العرب الأولون اتبعوا منهجاً علمياً موضوعياً في تحليل الكلام استغلوا به مبدأ الانفصال والابتداء، وهو ما وصفوه بـ"ما ينفصل وما يتبدأ"<sup>1</sup>، مما مكنهم من استكشاف الحدود الحقيقية للوحدات اللغوية في النصوص، منطلقين من اللفظ فقط دون الحاجة إلى افتراضات مسبقة كما يفعل التوليديون.

يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن هاتين الصفتين تشكلان وحدة لفظية لا يحددها سوى اللفظ ذاته وهي في الوقت نفسه وحدة إفادية لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة، فتحتمل مكاناً يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة<sup>2</sup>.

أمّا مقياس التمكن فيعني أن القطعة اللغوية يمكن أن تتحمل عدداً من الإضافات يميناً ويساراً على صورة تعاقب، ويعتبر الاسم أكثر الكلمات تمكناً، حيث يقول الخليل (بلسان تلميذه): "لا يكون اسم مظهر على حرف أبداً لأن المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء"<sup>3</sup>، أي أن الاسم هو الوحدة التي تنفصل وتبتدأ.

من هنا، انطلق النحاة العرب من أقل وحدة لغوية يمكن نطقها منفردة ومفهومة، وهي التي تنفصل وتبتدأ، وغالباً ما تكون الاسم المفرد أو ما يعادله من اللفظة (lexie)، كما سماها سيبويه. وقد أوضح الحاج صالح أن هذه الوحدة يمكن أن تكون جملة مفيدة في حد ذاتها، مثل "زيد" أو "أنا" أو "كتاب" في الإجابة عن أسئلة مثل "من هذا؟" أو "ما هذا؟"، وهي وحدة لفظية تنفصل وتبتدأ، مما يجعلها نقطة انطلاق لتحليل اللغة دون اللجوء إلى المعنى أو افتراضات أخرى<sup>4</sup>.

تُختبر هذه الوحدة بحملها على قطع أخرى مكافئة لها من حيث الانفصال والابتداء، بإضافة زوائد مثل أدوات التعريف، حروف الجر، الإعراب، التنوين، المضاف إليه، والصفة، مما يوضح مبدأ الأصالة والفرعية في تحديد حدود الأسماء والأفعال.

وأخيراً، في التحديد الإجرائي لهذه الوحدات، يُراعى المحور الأفقي (الإدراج) الذي يربط العناصر اللغوية بعضها ببعض، والمحور العمودي (التصريف) الذي يفرع الوحدات من أصل لا زيادة فيه إلى فروع تكثر فيها الزيادات، أي الانتقال من الأصل إلى الفروع عبر التحويل والتصريف<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج 1، ص 96.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 219.

<sup>3</sup> - سيبويه: الكتاب، ج 2، ص 69.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 82-83.

<sup>5</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 326.

بهذا، يُظهر مفهوم الانفصال والابتداء كيف استتفم النحاة العرب إلى منهج علمي موضوعي لتحديد وحدات اللغة، مما يجعل تحليلاتهم دقيقة وقابلة للتطبيق، ويؤسس لفهم متكامل للبنية اللغوية العربية.

## 6. مفهوم الموضع والعلامة العدمية

يُعدُّ مفهوم الموضع من المفاهيم المركزية في النظرية الخليلية الحديثة، حيث يُشير إلى الحيز البنيوي الذي يمكن أن يشغله عنصر لغوي معين داخل البنية اللغوية، سواء كان هذا العنصر حاضرًا أو غائبًا. ويُعتبر الموضع مفهومًا إجرائيًا واعتباريًا لا يرتبط بموقع ثابت في الكلام، بل يتحدد عبر حمل المجموعات اللغوية على بعضها، مما يسمح بفهم التوزيع البنيوي للعناصر اللغوية على مختلف المستويات<sup>1</sup>.

مثلاً: في اللفظة "بكتاب"، يوجد موضع أداة التعريف "الـ" في الاعتبار بين الباء و"كتاب"، إذ قد تظهر هذه الأداة عند الاقتضاء.

أما خلو الموضع من عنصر لغوي معين، فيمائله ما يُعرف بالعلامة العدمية عند الحاج صالح، وهي غياب مقصود لعنصر ما في موضعه، يُقابل وجود علامة ظاهرة في موضع آخر. هذا الغياب يحمل دلالة وظيفية مهمة، إذ تميز العلامة العدمية الفروع عن أصولها في النظام اللغوي. على سبيل المثال، المفرد والمنكر لا يظهران بعلامات ظاهرة كما هو الحال في الجمع، المثني، المؤنث، أو المصغر، وهذه الاختلافات تُفسر عبر وجود علامات ظاهرة أو علامات عدمية (غياب العناصر). كذلك العامل الذي لا يظهر لفظاً هو الابتداء<sup>2</sup>، وهو علامة عدمية مهمة في النحو.

فالعلامة العدمية ليست مجرد غياب عشوائي، بل هي غياب مقصود ومحدد وظيفيًا، يعكس التوازن البنيوي بين الأصول والفروع في النظام اللغوي.

يجب التمييز بين الموضع والموضوع؛ فالموضع هو الحيز البنيوي القائم كجزء من البنية حتى وإن خلا من العنصر، أما الموضوع فهو ما يحتويه هذا الموضع من عناصر لغوية.

تجدر الإشارة إلى أن الموضع قد يكون فارغًا، وهذا لا ينفي وجوده، بل إن عملية الزيادة اللغوية هي التي تحدد المواضع التي يمكن أن تظهر فيها الزوائد. على سبيل المثال، في اللفظة "بكتاب"، يوجد موضع اعتباري لأداة التعريف "الـ" بين الباء و"كتاب"، إذ يمكن أن تظهر هذه الأداة عند الاقتضاء فتصبح "بالكتاب".

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 221.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 222.



هذان المفهومان يشكلان أساساً لفهم البنية الصورية للغة العربية في النظرية الخليلية الحديثة، ويُسهمان في بناء نموذج لغوي دقيق ومنهجا أكثر موضوعية ووضوحاً.

### 7. اللفظة والعامل

لم يخلط النحاة العرب الأوائل بين البنية الصورية النحوية للفظ وبين آليات الإفادة والمفاهيم الدلالية المرتبطة بالمعنى، إذ رأوا ضرورة الانطلاق في تحليل اللّغة من اللفظ وحده دون اللجوء إلى المعنى المقصود. فقد قدم النحاة دراسة اللفظ على دراسة المعنى، باعتبار أن المعنى يُفهم من اللفظ، وليس العكس. ويؤكد سيبويه في بداية كتابه هذا التمييز بين اللفظ والمعنى، مشيراً إلى أن الكلام يتكون من هذين العنصرين المتميزين.

وانطلق النحاة العرب في تحليلاتهم من مستوى اللفظة *la lexie* \*، وهو المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية كوحدة إعلامية أو إفادية<sup>1</sup>. وبذلك، تُعد اللفظة وحدة لغوية مركزية تجمع بين البعد اللفظي (الصوت) والبعد الإفادي (الدلالي)، فهي أصغر وحدة في الكلام يمكن أن تبدأ وتتفصل ولا تقبل التجزئة.

يمكن القول إنّ النحاة لم ينطلقوا من مستوى الكلمة أو الجملة فقط، بل من مستوى اللفظة باعتبارها وحدة مركزية في التحليل اللغوي، تجمع بين الشكل والصيغة والدلالة، وتشكل نقطة الانطلاق لفهم بنية اللّغة العربية.

إلى جانب اللفظة، يُعدّ مفهوم العامل من المفاهيم الأساسية التي استند إليها النحاة العرب في تحليلهم للغة. العامل هو العنصر الذي يؤثر في تركيب اللفظ أو الجملة، ويُحدث تغييراً في الحالة الإعرابية أو التركيبية أو الدلالية للوحدة اللغوية التي يتصل بها.

وقد أدرك النحاة أنّ العامل لا يمكن فهمه بمعزل عن اللفظة، بل هو مرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، إذ يشكل العامل القوة التي تُحرّك البنية اللغوية، وتُحدّد كيفية ارتباط الكلمات ببعضها داخل الجملة. فالعامل هو الذي يُحدّد حالة الإعراب، ويُبيّن العلاقات التركيبية بين الوحدات اللغوية، دون الحاجة إلى الرجوع إلى المعنى المجرد.

كما أنّ العامل لا يُقاس بوجود لفظ ظاهر دائماً، فهناك عوامل تقديرية أو ضمنية، مثل الابتداء، الذي يعتبر عاملاً عديمياً لا يظهر لفظه لكنه يؤثر في تركيب الجملة.

\* مصطلح اقترحه ووضعه الحاج صالح في مقابل اللفظة.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 326.



بذلك، يُكمل مفهوم العامل مفهوم اللفظة، ويساهم معاً في بناء نموذج نحوي دقيق يعتمد على البنية الصورية والوظيفة التركيبية، بعيداً عن التداخل مع المعاني المجردة، مما يجعل التحليل أكثر موضوعية ووضوحاً.

إذن، اللفظة هي الوحدة اللغوية الأساسية التي تُحلل من حيث تركيبها وتوزيعها، والعامل هو العنصر الذي يؤثر في تركيب أو تصريف الكلمة داخل السياق.

إن فهم العلاقة بين اللفظة والعامل يُعدّ من الركائز الأساسية في النحو العربي، حيث يُمكن من خلالهما بناء تحليل دقيق للنصوص اللغوية، يراعي البنية الصورية والوظائف التركيبية دون التداخل في المعاني، مما يعزز من دقة وموضوعية الدراسات اللغوية.

يتبين لنا أنّ النظرية الخليلية تمثل أحد أهم الإنجازات العلمية في تاريخ النحو العربي، حيث أسس الخليل بن أحمد الفراهيدي منهجاً علمياً دقيقاً لفهم اللغة العربية وتحليلها. لقد تميزت هذه النظرية بتركيزها على البنية الصورية للغة، والاعتماد على المفاهيم الأساسية مثل الأصول والفروع، والموضع، والعلامة العدمية، واللفظة والعامل، مما أتاح للنحاة العرب بناء نظام لغوي متكامل ومنهجي.

كما أنّ النظرية الخليلية لم تقتصر على وصف اللغة فحسب، بل سعت إلى تفسير الظواهر اللغوية من خلال منهج علمي موضوعي قائم على الملاحظة والتجريب، وهو ما جعلها ركيزة أساسية في الدراسات اللغوية العربية الكلاسيكية والمعاصرة.

إن فهمنا لهذه النظرية يعزز من قدراتنا التحليلية في اللغة العربية، ويمكننا من التعامل مع النصوص اللغوية بشكل أكثر دقة وعمقاً، ويسهم في تطوير الدراسات اللسانية الحديثة.

لذا، فإن دراسة النظرية الخليلية ليست مجرد استذكار للماضي، بل هي استثمار علمي يفتح آفاقاً جديدة لفهم اللغة العربية وتطويرها في ضوء المعطيات الحديثة.



## قائمة المصادر والمراجع

## أولاً باللغة العربية

1. إبراهيم نصر، مقدمة في التربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004 م.
2. ابن جنّي، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط. بيروت: دت، ج 1، دار الهدى للطباعة.
3. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000 ج 08.
4. ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 15.
5. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة البنوية والنمط، ط1. بيروت: 2010، الدار العربية للعلوم ناشرون.
6. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ط2. بيروت: 2010، دار الكتاب الجديد المتحدة.
7. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ط1. الرباط: 2006، دار الأمان.
8. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، الرباط: 1995، دار الأمان.
9. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ط2. الإمارات العربية المتحدة: 2013، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
10. أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، القاهرة: 2002، دار المعرفة الجامعية.
11. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2. الجزائر: 2005، ديوان المطبوعات الجامعية.
12. جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، دط. سوريا: دت، مؤسسة الوحدة.
13. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1. بيروت: 2006، الدار العربية للعلوم.
14. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، مصر: 1995، دار المعرفة الجامعية.
15. الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 04، 1990، ج 3.
16. جيفري سامبسون، المدارس اللغوية - التطور والصراع-، تر: أحمد نعيم الكراعين، ط1. بيروت: 1993، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
17. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات، الجزائر: 1992.
18. خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق"، دار المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1984.
19. دي سوسير، محاضرات في الأسنوية العامة، تر: يوسف غازي، 1986.
20. ر.ه. رويتر، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، 1998، عالم المعرفة.



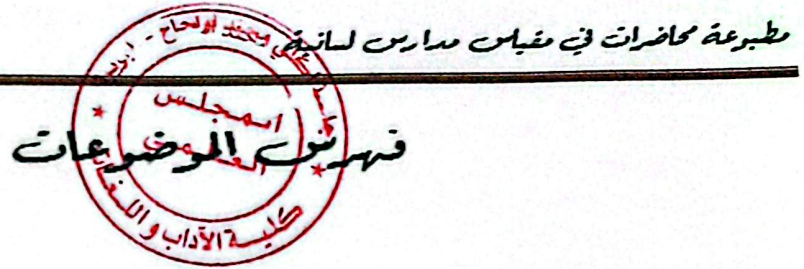
21. رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، تر: بدر الدين القاسم، حوريا: 1980، منشورات وزارة التعليم العالي.
22. الزبيدي، تاج العروس، تح: محمود أحمد الطنماحي وآخرون، مؤسسة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت 1993 م، ج 16 .
23. سيوييه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1.
24. شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، دط، القاهرة: 1988.
25. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، الجزائر، الجزائر: 2004، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
26. طالب سيد هاشم الطببائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الكويت: 1994، مطبوعات جامعة الكويت.
27. الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إبستيمولوجية، الجزائر: 2001، دار القصبه للنشر.
28. عبد الرحمان حاج صالح، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر: 1972.
29. عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، منشورات المجمع للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر 2007
30. عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: "مفاهيمها الأساسية"، كراسات المركز، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 04، 2007 م
31. عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط 01، 2016.
32. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ط2. الدار العربي للكتاب.
33. عبد القادر الفهري القاسمي، اللسانيات واللغة العربية، الدار البيضاء: 1985، دار توبقال.
34. عبد القادر المهيري، محمد الشاوش وآخرون، أهم المدارس اللسانية، تونس: 1986، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية.
35. عبد القادر عبد الجليل، المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية الصرفية، ط1. الأردن: 2006، دار صفاء للنشر والتوزيع.
36. عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1993 .
37. عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط1. المغرب: 2000، دار توبقال للنشر.
38. عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، بيروت: 2019، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
39. ف. ر. بالمر، علم الدلالة، تر: صبري إبراهيم السيد، ط1. القاهرة: 1995، دار المعرفة الجامعية
40. فرديناد دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، 1987.
41. مازن الوعر، تشومسكي، مجلة اللسان العربي، ع 31، 1988، جامعة الدول العربية، مكتب التنسيق التعريب.
42. مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ط2. دمشق: 1992، دار طلاس.



43. محمد الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ط1. الأردن، 1999، دار الفلاح.
44. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ليبيا، 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
45. محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، بيروت، 1998، دار النهضة العربية.
46. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، 1998.
47. مراد عبد الرحمن مبروك آليات المنهج الشكلي في الرواية العربية المعاصرة، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2002.
48. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية.
49. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1. بيروت: 2010، دار الكتب الجديدة المتحدة.
50. ميشال زكريا، الأسمنة علم اللغة الحديث، ط2. الجزائر: 2005، ديوان المطبوعات الجامعية.
51. ميشال زكريا، الأسمنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ط1. بيروت: 1983، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
52. ميشال زكريا، الأسمنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام.
53. ميشال زكريا، قضايا أسمية تطبيقية، بيروت: 1993، دار العلم للملايين.
54. نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 17، جانفي 2006.
55. نعم تشومسكي، اللغة والعقل، تر: إبراهيم مشروح ومصطفى خلال، ط1. مراكش، دار تينمل.
56. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، 2008.
57. يحي بعبطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003.

### ثانياً: باللغة الأجنبية

1. Louis Hjelmslev, Essais linguistiques, edt de minuil, 1971.
2. Noam Chomsky, La Linguistique Cartésienne, tr: E. Delanoë et D.Seperber édition du seuil, paris.
3. O. Ducrot et Todorov, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage.
4. R.Galison, D . coste, Dictionnaire de didactique des langues, Hachette.



9-4.....	مدخل المدرسة/ الحلقة/ النظرية.....	.1
19-10.....	لسانيات دوسوسير.....	.2
21-20.....	حلقة موسكو.....	.3
28-22.....	مدرسة براغ 1.....	.4
30-29.....	مدرسة برغ 2.....	.5
38-31.....	مدرسة كوينهاجن.....	.6
45-39.....	المدرسة الوظيفية الفرنسية.....	.7
49-46.....	المدرسة السياقية.....	.8
58-50.....	المدرسة التوزيعية.....	.9
73-59.....	المدرسة التوليدية التحولية 1.....	.10
82 -74.....	المدرسة التوليدية التحويبية 2.....	.11
90-83.....	المدرسة الوظيفية الأمريكية.....	.12
100-91.....	مدرسة أوكسفورد.....	.13
112-101.....	المدرسة الخيلية.....	.14